الفصل الرابع

المراهقة من المنظور الإسلامي

المبحث الأول: المراهقة في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: التكامل الإسلامي في التربية وبناء شخصية المراهق.

المبحث الأول

المراهقة في القرآن والسنة

المطلب الأول: المراهقة في القرآن.

المطلب الثاني: المراهقة في السنة.

المبحث الأول
المراهقة في القرآن والسنة

المطلب الأول
المراهقة في القرآن

تكرر ورود مادة (رهق) في القرآن الكريم في نحو ثمانية مواضع[1] منها:

- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2].

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ أي لا ينالهم مكروه بوجه من الوجوه، لأن المكروه إذا وقع بالإنسان تبين ذلك في وجهه وتغير وتكدر ﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾ أي تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ في قلوبهم وخوف من عذاب الله لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم. وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرهم، فتكون سواداً في وجوههم»[3].

- وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[4].

---

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، لا. ط، 1408هـ - 1988م، ص 325، مادة رهق.

(2) سورة يونس، الآيتان: 26-27.

(3) السعدي، عبد الرحمٰن ناصر، تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، دار الذخائر، الدمام، لا. ط، 1414هـ-1994م، ج 2، ص314-315.

(4) سورة الجن، الآية: 6.

قال سيِّد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «ولعل هذا الرهق هو الضلال والقلق والحيرة التي تنوش قلوب من يركنون إلى عدوهم، ولا يعتصمون بالله منه ويستعيذون كما هم مأمورون منذ أبيهم آدم، وما كان بينه وبين إبليس من العداء القديم!.

والقلب البشري حين يلجأ إلى غير اللّه، طمعاً في نفع، أو دفعاً لضر، لا يناله إلا القلق والحيرة، وقلة الاستقرار والطمأنينة، . . وهذا هو الرهق في أسوأ صوره. . . الرهق الذي لا يشعر معه القلب بأمن ولا راحة! . . .»[1].

- وقال في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[2]. «المؤمن إذاً في أمان نفسي من البخس ومن الرهق. . . وهذا الأمان يولد الطمأنينة والراحة طوال فترة العافية، فلا يعيش في قلق وتوجس. حتى إذا كانت الضراء لم يهلع، ولم يجزع، ولم تُغْلَقْ على نفسه المنافذ»[3].

هذه بعض المواضع التي وردت فيها لفظة (رَهَقَ) في القرآن الكريم، أما لفظة المراهقة التي هي مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالألف (راهق) فلم تَرِدْ في القرآن الكريم.

وسبق أن ذكرْتُ المعنى اللغوي للمراهقة من مراجع اللغة في مطلب تعريف المراهقة في اللغة فليُرْجع إليها في موضعها، إذ لا داعي لذكرها هنا منعاً للتكرار[4].

المطلب الثاني
المراهقة في السنة

وردت في بعض الأحاديث الصحيحة ألفاظٌ مشتقة من الفعل «رهق» ومن ذلك

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، م. س، ج 6، ص 3728.
(2) سورة الجن، الآية: 13.
(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، م. س، ج 6، ص 3733
(4) انظر ص 33-34.

ما رواه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة: (**التمس غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر**) فخرج بي أبو طلحة مردفي، وأنا غلام راهقْتُ الحلم، فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيراً يقول: (**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال**)[1]... ومعنى راهقْتُ الحلم: أي قاربْتُ الحلم. فقد مرَّ سابقاً في التعريف اللغوي للمراهقة: راهق الغلام فهو مُراهق إذا قارب الاحتلام[2].

وروى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رَهِقوه قال: (**مَنْ يردّهم عنَّا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟**) فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهِقوه أيضاً، فقال: (**من يردُّهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟**) فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل فلم يزل ذلك حتى قُتِل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: (**ما أنصَفْنا أصحابنا**)[3].

قال النووي رحمه الله «قوله: (فلما رَهِقوه) بكسر الهاء أي غشوه وقربوا منه، أرهقه أي غشيه. قال صاحب الأفعال: رهقته وأرهقته أي أدركته. قال القاضي في المشارق: قيل: لا يستعمل ذلك إلا في المكروه، قال: وقال ثابت: كل شيء دنوت منه فقد رهقته والله أعلم»[4].

أما لفظة المراهقة فلم ترد في السنة النبوية. على حسب علمي.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والتيسير، باب من غزا بصبي للخدمة، ص 559، حديث رقم 2893.

(2) الجوهري، إسماعيل بن حمَّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، م. س، ج4، ص 1486، مادة رهق.

(3) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، ج 12، ص 358، حديث رقم 4617.

(4) النووي، محيي الدين يحيى، شرح صحيح مسلم، ج 12، ص 358.

المبحث الثاني

التكامل الإسلامي في التربية وبناء شخصية المراهق

المطلب الأول: الاحترازات الوقائية للمراهقة:

الفرع الأول: حُسن اختيار الزوج والزوجة.

الفرع الثاني: الهدي النبوي في أحكام المولود:

أ - التأذين في أذنه اليمنى.

ب - تحنيكه.

ج - العقّ عنه.

د - حلق شعره والتصدق بوزنه.

هـ - تسميته.

و - ختانه.

المطلب الثاني: البناء الإيماني:

الفرع الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد.

الفرع الثاني: تعليمه حبَّ الله تعالى والاستعانة به.

الفرع الثالث: ترسيخ محبة الرسول ﷺ في قلبه.

المطلب الثالث: البناء العبادي وأقوال الفقهاء فيه:

الفرع الأول: الصلاة.

الفرع الثاني: الزكاة.

الفرع الثالث: الصوم.

الفرع الرابع: الحج.

المطلب الرابع: البناء الأخلاقي والسلوكي:

الفرع الأول: الأدب مع الوالدين.

الفرع الثاني: أدب الاحترام والتوقير.

الفرع الثالث: أدب الطعام والشراب.

الفرع الرابع: أدب المظهر في الشعر واللباس.

الفرع الخامس: خُلُق الصدق.

الفرع السادس: خُلُق حفظ الأمانة.

المطلب الخامس: البناء الاجتماعي:

الفرع الأول: أدب الاستئذان.

الفرع الثاني: أدب السلام.

الفرع الثالث: أدب الجلوس والمجلس.

الفرع الرابع: أدب العطاس والتثاؤب.

الفرع الخامس: أدب مراعاة حقوق الآخرين:

أ - حق الجار.

ب - حق الأُخُوّة.

ج - حق الكبير.

المطلب السادس: البناء العاطفي:

الفرع الأول: ملاعبة الأطفال ومازحتهم.

الفرع الثاني: تقبيلهم والرحمة بهم.

الفرع الثالث: المسح على رؤوسهم.

الفرع الرابع: الرعاية الخاصة بالبنات.

الفرع الخامس: الرعاية الخاصة باليتامى.

المطلب السابع: البناء الجسمي:

الفرع الأول: التوجيه الصحي.

الفرع الثاني: تعليمه السباحة والرماية وركوب الخيل.

المطلب الثامن: البناء الثقافي:

الفرع الأول: إرشاده إلى العلم النافع.

الفرع الثاني: اختيار المُدَرّس الصالح والمَدْرَسة الصالحة.

الفرع الثالث: اختيار الرفقة الواعية والصالحة.

الفرع الرابع: اقتناء المكتبة المنزلية الصالحة والهادفة.

المطلب التاسع: البناء عن طريق التأديب:

الفرع الأول: التأديب ضرورة تربوية.

الفرع الثاني: التدرج في التأديب.

أ - الوعظ والإرشاد.

ب - تصحيح الخطأ.

ج - الهجر.

د - التهديد بالضرب.

هـ - الضرب.

خلاصة الفصل.

المبحث الثاني

التكامل الإسلامي في التربية وبناء شخصية المراهق

المطلب الأول

الاحترازات الوقائية للمراهقة

الفرع الأول: حُسن اختيار الزوج والزوجة:

جعل الله الشريعة الإسلامية متوافقة مع الفطرة التي فطر الناس عليها، خاصة وأن هذه الدنيا طريق سفر محفوف بالمخاطر، مجهول المسافة، منقطع، لا تُعلم ساعة انقضاء الأجل، ولا بدَّ للمسافر من زاد لرحلته وأنيس لوحشته، وأطيب ذلك وألذّه ما أباح من الطيّبات، ورخّص فيه من الشهوات، وأحسنه المرأة الصالحة والزوج الصالح، فالزوج الصالح خير رفيق وجليس، والمرأة الصالحة أفضل أنيس، وخير متاع الدنيا، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: (**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**)[1]، [2].

لذلك حضّ الإسلام على الزواج ورغب فيه. فكل واحد من الزوجين يجد في ظلِّ الآخر سكنه النفسي، وسعادته الزوجية المملوءة بالمودّة والرحمة والإلفة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

---

(1) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ج 10، ص 298، حديث رقم 3628.

(2) الجديع، عبد الله، صفة الزوجة الصالحة في الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الإحساء، الطبعة الخامسة، 1411هـ-1991م، ص 25.

(3) سورة الروم، الآية: 21.

وحض الإسلام على حُسن اختيار الزوج والزوجة من ذوي الأخلاق والصلاح والدين والعفة. فوجّه أولياء أمر المخطوبة للنظر إلى دين وأخلاق الخاطب لا إلى ماله وملكه وشكله وصورته، قال ﷺ: **(إذا خطب إليكم مَنْ ترضَوْن دينه وخُلُقه فزوِّجوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)**[1].

ووجّه الخاطبَ أن يختار صاحبة الدين التي تطيعه إذا أمر، وتسرّه إذا نظر، وتحفظه إن غاب أو حضر. لا أن ينظر إلى المال والجمال والحسب ويتجاهل الدين، فالدين أولاً، وإن توفَّرت صفات أخرى فخير إلى خير.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **(تُنْكَح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)**[2] [3].

فإن لم يظفر الرجل بالمرأة الصالحة صاحبة الدين، فقد افتقر لأنها خير متاع الدنيا، وهي اللبنة الأولى في الأُسْرة، فإذا كانت صالحة، صلحت الأسرة بصلاحها - إن شاء الله -، وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وهذه غاية عظيمة يجب أن نسعى لتحقيقها، ليتحقق الهدف الأسمى الذي نصبو إليه وهو عمارة الأرض بطاعة الله وعبادته.

---

(1) سبق تخريجه، ص 132.

(2) تربت يداك: أي افتقرت، قال أبو عبيد: ولم يرد به الدعاء، لكنها كلمة جارية على ألسنة العرب يقولونها. ولا يريدون وقوع ذلك. وقال ابن عرفة: تربت يداك إن لم تفعل.
- انظر ابن الجوزي، عبد الرحمٰن بن علي، غريب الحديث، تخريج عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م، ج 1، ص 104-105، مادة ترب.

(3) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ص 1009، حديث رقم 5090.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، ج 10، ص 293، حديث رقم 3620.

الفرع الثاني: الهدي النبوي في أحكام المولود:

أ - التأذين في أذنه اليمنى: إذا وهب الله الإنسان مولوداً، يُستحب التأذين في أذنه اليمنى، لما رواه أبو رافع ﷺ قال: (رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة)[1].

قال ابن قيّم الجوزية رحمه الله: «وسِرُّ التأذين، والله أعلم، أن يكون أول ما يَقْرع سمعَ الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كتلقينه له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يُلَقَّن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مُستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر، مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلُّقه به.

وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله، وإلى دينه الإسلام، وإلى عبادته، سابقةً على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقةً على تغيير الشيطان لها، ونقله عنها. ولغير ذلك من الحكم»[2].

ب - تحنيكه[3]: يستحب تحنيك المولود بتمرة فيمضغها في فيه ثمَّ يأخذها ويجعلها في في المولود، وذلك تأسّياً بالنبي ﷺ لما رواه أبو موسى ﷺ قال:

---

(1) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه، ص 550، حديث رقم 5105.
- الترمذي، كتاب الأضاحي، باب الأذان في أذن المولود، ص 266، حديث رقم 1514.

(2) ابن قيّم الجوزية، شمس الدين محمد، تحفة المودود بأحكام المولود، م.س، ص 29.

(3) حنَّكه: مضغ تمراً فدلكه بحنكه. انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، م.س، ص 1210، مادة حنك.

(وُلد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ فسمّاه إبراهيم، فحنّكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ، وكان أكبر ولد أبي موسى)[1].

وعن أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة، فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت به الرسول ﷺ فوضعته في حجره، فدعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه: فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، قالت: ثم حنَّكه بالتمرة، ثم دعا له فبرَّك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام ففرحوا به فرحاً شديداً، لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم، فلا يولَد لكم[2].

ج - **العقّ عنه**: من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان نعمة الولد. فكم من أُناس حُرِموا هذه النعمة فصبروا على حرمانها وحمدوا الله على كل حال. وكم من أُناس وهبهم الله الولد ولم يبادروه بالشكر والحمد...

ولكي يبارك الله عز وجل في الأولاد ويحفظهم، ينبغي المسارعة إلى شكره وحمده، ومن ذلك العقّ عن المولود، ومعنى العقيقة ذبيحة تُذْبَح عن المولود يوم السابع من ولادته إن تيسَّر، وإن لم يتيسَّر يوم السابع ففي اليوم الرابع عشر، وإن لم يتيسَّر ففي اليوم الحادي والعشرين، وإن لم يتيسَّر ففي أي وقت تيسَّر ذلك.

ومن السنة أن يُذْبَحَ عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة. وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها: ما رواه الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها لمّا سُئِلت عن

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود، ص 1079، حديث رقم 5467.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، ج 14، ص 351، حديث رقم 5580.

(2) أخرجه البخاري، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود، ص 1079، حديث رقم 5469.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه...، ج 14، ص 352، حديث رقم 5582.

العقيقة أخبرت (أن رسول الله ﷺ أمرهم عن الغلام شاتَيْن متكافئتَين وعن الجارية شاة)[1] أي أن يذبحوا.

وعن أم كُرز أنها سألت رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال: **(عن الغلام شاتان وعن الأنثى واحدة لا يضركم ذكراناً كنَّ أم إناثاً)**[2].

وعن جندب بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويُحلق رأسه ويُسمَّى)**[3].

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله: «والعمل على هذا عند أهل العلم يستحبون أن يُذبح عن الغلام العقيقة يوم السابع، فإن لم يتهيَّأ فيوم الرابع عشر، فإن لم يتهيأ عقَّ عنه يوم الحادي والعشرين وقالوا: لا يجزئ في العقيقة من الشاة إلا ما يجزئ في الأضحية».

قال الإمام أحمد رحمه الله معناه: أنه محبوس عن الشفاعة في أبوَيْه[4].

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله: والرهن في اللغة: الحبس، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[5].

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب الأضاحي، باب ما جاء في العقيقة، ص 266، حديث رقم 1513.
- وابن ماجه، كتاب الذبائح، باب العقيقة، ص 460، حديث رقم 3163

(2) أخرجه أبو داود، كتاب الضحايا، باب في العقيقة، ص 320، حديث رقم 2835.
- والترمذي، كتاب الأضاحي، باب الأذان في أذن المولود، ص 266، حديث رقم 1516.
- والنسائي، كتاب العقيقة، باب كم يعق عن الجارية، ص 443، حديث رقم 4217.
- وابن ماجه، كتاب الذبائح، باب العقيقة، ص 460، حديث رقم 3162.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الضحايا، باب في العقيقة، ص 321، حديث رقم 2838.
- والترمذي، كتاب الأضاحي، باب من العقيقة، ص 267، حديث رقم 1522.
- والنسائي، كتاب العقيقة، باب متى يُعق، ص 443، حديث رقم 4220.

(4) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد، تحفة المودود بأحكام المولود، م. س، ص 50.

(5) سورة المدثر، الآية: 38.

وظاهر الحديث أنه رهينة في نفسه، ممنوع محبوس عن خيرٍ يُراد به، ولا يلزم من ذلك أنْ يُعاقب على ذلك في الآخرة، وإن حُبس بترك أبويه العقيقة عما يناله مَنْ عقَّ عنه أبواه، وقد يفوت الولدَ خيرٌ بسبب تفريط الأبوَيْن وإن لم يكن من كسبه، كما أنه عند الجماع إذا سمَّى أبوه، لم يضرّ الشيطان ولده، وإذا ترك التسمية، لم يحصل للولد هذا الحفظ»[1].

د - **حلق شعره والتصدق بوزنه**: يستحب حلق رأس الصبي عند العقيقة يوم السابع، كما ورد في الحديث الذي سبق ذكره أن رسول الله ﷺ قال: (**كل غلام رهينة بعقيقته تُذبح عنه يوم سابعه ويُحلق رأسه ويُسمَّى**).

ويستحب وزن شعره والتصدق بوزنه فضةً لِمَا رَوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن وقال: (**يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضةً**) قال: فوزنته فكان وزنه درهماً أو بعض درهم»[2].

ويتعلق بالحلق مسألة القزع، وهو حلق بعض رأس الصبي وترك بعضه الآخر[3]. وقد نُهي عنه. روى البخاري ومسلم عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر: (أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع، قال: قلت لنافع: وما القزع؟ قال: يُحلق بعض رأس الصبي ويترك بعض)[4].

وسيأتي - إن شاء الله - مزيد من الإيضاح لهذه المسألة عند الحديث عن أدب المظهر في اللباس والشعر.

---

(1) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة والعشرون، 1412هـ-1992م، ج 2، ص 326.

ولمعرفة المزيد من أحكام العقيقة يراجع كتاب ابن قيِّم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، م.س..

(2) أخرجه الترمذي، كتاب الأضاحي، باب العقيقة بشاة، ص 266، حديث رقم 1519.

(3) الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، م.س، ص 534، مادة قزع.

(4) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب القزع، ص 1151، حديث رقم 5920.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب اللباس، باب كراهية القزع، ج 14، ص 326، حديث رقم 5524، واللفظ له.

هـ - تسميته: تقدم في حديث جندب بن سمرة في العقيقة (**تُذبح عنه يوم سابعه ويُحلق رأسه ويُسمَّى**)[1].

وكان ﷺ يَستحِب الاسم الحسن ويحضّ عليه، ويكره الاسم القبيح وينهى عنه، لِما بين الأسماء والمسمَّيات من تأثير وارتباط وتناسب، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن أحبَّ أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمٰن**)[2].

وقال ﷺ: (**تسمَّوا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمٰن وأصدقها حارث وهمّام وأقبحها حرب ومرَّة**)[3].

قال ابن قيِّم الجوزية - رحمه الله تعالى-: «لمّا كانت الأسماء قوالب للمعاني، ودالّةً عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلُّق له بها. فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثُّر عن أسمائها في الحُسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة، كما قيل:

وقلَّما أَبْصَرَتْ عينَاكَ ذا لقبٍ إلَّا ومعناه إنْ فكَّرتَ في لَقَبِهْ...»

إلى أن قال رحمه الله: «وقد أمر النبي ﷺ بتحسين أسمائهم، وأخبر أنهم يُدعون يوم القيامة بها، وفي هذا - والله أعلم - تنبيه على تحسين الأفعال المناسبة، لتحسين الأسماء، لتكون الدعوة على رؤوس الأشهاد بالاسم الحسن والوصف المناسب»[4].

---

(1) سبق تخريجه، ص 182.

(2) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، ج 14، ص 339، حديث رقم 5552.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، ص 536، حديث رقم 4950.

(4) ابن قيِّم الجوزية، شمس الدين محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، م.س، ج 2، ص 336-338.

- وتحفة المودود بأحكام المولود، م.س، ص 104، ونص الكلام من زاد المعاد.

و - **ختانه**: أراد الله ﷻ من الإنسان أن يكون طاهراً نظيفاً، فشرع سنن الفطرة ليحافظ على طهارة بدنه ليُحقِّق محبة الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

وجعل النبي ﷺ الختان رأس خصال الفطرة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**الفطرة خمس - أو خمس من الفطرة -: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط**)[2].

قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله: «الختان من محاسن الشرائع التي شرعها الله سبحانه لعباده، وكمّل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة فهو مُكَمِّل الفطرة التي فطرهم عليها، ولهذا كان من تمام الحنيفية ملة إبراهيم، وأصل مشروعية الختان لتكميل الحنيفية، فإن الله ﷻ لما عاهد إبراهيم وعده أن يجعله للناس إماماً، وعده أن يكون أباً لشعوب كثيرة، وأن تكون الأنبياء والملوك من صُلبه، وأن تكون من نسله، وأخبره أنه جاعل بينه وبين نسله علامة العهد أن يختنوا كل مولود منهم، ويكون عهده هذا ميسماً في أجسادهم، فالختان علمٌ للدخول في ملة إبراهيم، وهذا موافق لتأويل من تأوَّل قولَهُ تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[3] على الختان...

والمقصود أن صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له، وصبغت الأبدان بخصال الفطرة من الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الآباط والمضمضة

---

(1) سورة البقرة، الآية: 222.

(2) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب وباب تقليم الأظفار، ص 1148، حديث رقم 5889-5891.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ج 3، ص 139، حديث رقم 596.

(3) سورة البقرة، الآية: 138.

والاستنشاق والسواك والاستنجاء، فظهرت فطرةُ الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم»[1].

المطلب الثاني
البناء الإيماني

الفرع الأول: تلقين الطفل كلمة التوحيد.

سبق أن ذكرتُ في مطلب الهدي النبوي في أحكام المولود، استحباب التأذين في أذن المولود اليُمنى، ولا يخفى ما في هذا العمل من أثر في تلقين الولد أصل العقيدة ومبدأ التوحيد والإيمان، لتكون كلمة التوحيد، وشعار الدخول في الإسلام أول ما يقرع سمع الطفل، وأول ما يفصح بها لسانه، وأول ما يتعقّلها من الكلمات والألفاظ.

قال ابن قيّم الجوزية رحمه الله: «فإذا كان وقت نطقهم فليُلَقَّنوا: لا إلٰه إلا الله محمداً رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا، وكان بنو إسرائيل كثيراً ما يُسمّون أولادهم بـ «عمانويل» ومعنى هذه الكلمة: إلٰهنا معنا، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمٰن، بحيث إذا وعى الطفل وعقل، علم أنّه عبد الله، وأنَ الله هو سيده ومولاه»[2]. ولكن مع ذلك لم ينتفع بنو إسرائيل من هذه التسمية، التي كانوا يسمون بها أولادهم.

---

(1) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد، تحفة المودود بأحكام المولود، م. س، ص 127-128.

(2) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد، تحفة المودود بأحكام المولود، م.س، ص 158.

الفرع الثاني: تعليمه حبّ الله تعالى والاستعانة به:

إن مسؤولية التربية الإيمانية لدى المربين والآباء والأمهات، هي مسؤولية هامة لكونها منبع الفضائل، ومبعث الكمالات... بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان، وقنطرة الإسلام...

وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل، ولا يحقق معنى الإنسانية الفاضلة، ولا ينتمي إليها... بل يعيش عيشة البهائم ليس له همّ سوى أن يسدَّ جوعته، ويُشبع غريزته، وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين والكفرة والضالين الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[1].

فعلى المربي ألّا يترك فرصة سانحة تمر إلّا وقد زوَّد الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تُثبِّت الإيمان وتقويه وتُرسِّخه في قلبه، وهذا الأسلوب هو أسلوب المربي الأول، صلوات الله وسلامه عليه، حيث كان يسعى دائماً إلى توجيه الأولاد إلى كل ما يرفع من شأنهم، ويُرسِّخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم.

أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: **(يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظْك، احفظ الله تجدْه تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجفَّتِ الصحف)**[2].

وقد ذُكرت نماذج كثيرة عن سلفنا الصالح تدلُّ على اهتمامهم بترسيخ الإيمان

(1) سور محمد، الآية: 12.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، ص 409، حديث رقم 2516.

في قلوب أبنائهم، وتذوُّق طعمه وحلاوته، ومراقبة الله ﷻ في السر والعلن، ومن ذلك:

1 - ذكر الإمام الغزالي في إحيائه قصة لطيفة فقال: قال سهل بن عبد الله التستري» كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك، فقلت كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك، الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قُلْ في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي يوماً: احفظ ما علّمتك، ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سِرِّي، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية، . . . فتعلّمْتُ القرآن وحفظْتُه، وأنا ابن ستِّ سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة»[1].

2 - كان ابن عمر في سفر فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لي، فقال: قُلْ لصاحبها إنّ الذئب أخذ منها واحدة. فقال العبد: فأين الله، فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة مقالة: فأين الله؟[2].

هذه التربية الإيمانية التي ربّى سلَفنا الصالح عليها أبناءهم أدّت بهم إلى الإيمان الصادق الذي جعلهم أشدّ حباً لله كما قال تعالى:

---

(1) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لا. ط، لا ت، ج 3، ص 74.

(2) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، مكتبة المنار، الكويت، الطبعة الثالثة، 1410هـ-1990م، ص 88-89.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1].

وهذه التربية الإيمانية هي التي دفعت ذلك الرجل إلى الإعلان عن محبته لله ورسوله. فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: **(وماذا أعددتَ لها)** قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال: **(أنت مع من أحببت)**.

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: **(أنت مع من أحببت)**. قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[2].

الفرع الثالث: ترسيخ محبة الرسول ﷺ في قلبه:

إن حبّ الرسول ﷺ واجب على كل مسلم، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بحبه ﷺ وقرن حبَّه سبحانه وتعالى بحب الرسول الكريم ﷺ، ولذلك وعد الله تعالى من يطيعون الرسول ويتبعونه ويأتمرون بأوامره، بأن يحبهم ويغفر لهم ذنوبهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3].

ولا يكمل إيمان العبد حتى يقدِّم محبة الرسول ﷺ على كل شيء، على أهله وولده وماله والناس أجمعين، وحتى على نفسه، فقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)**[4].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 165.

(2) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ص 704، حديث رقم 3688.

(3) سورة آل عمران، الآية: 31.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان، ص 26، حديث رقم 15.
-ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، ج 2، ص 206، حديث رقم 167.

وفي رواية أخرى لمسلم: (. . . **من أهله وماله والناس أجمعين**)[1].

وروى البخاري عن عبد الله بن هشام ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: (**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**) فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: (**الآن يا عمر**)[2].

وقد ثبت بروايات صحيحة تناقلتها كتب السيرة، أنَّ الصحابة كانوا يقدِّمون محبة الرسول ﷺ على أنفسهم، فهم يفدونه بأرواحهم وأنفسهم.

روى البخاري عن أنس ﷺ قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يديّ النبي ﷺ مُجَوِّب عليه بحَجَفَة له[3]، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسَيْن أو ثلاثةً، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل، فيقول: (انثرها لأبي طلحة) قال: ويُشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. . .[4].

وقد اجتمع عدد كبير من الصحابة ﷺ في تلك اللحظات الحرجة يذودون عن النبي ﷺ، حتى النساء، حيث وقفت نسيبة بنت كعب تذبّ عن رسول الله ﷺ بالسيف، وترمي بالقوس، وأصيبت بجراح كبيرة، وترَّس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو مُنحنٍ عليه حتى كَثر فيه النبل.

---

(1) نفس الكتاب والباب، ج 2، ص 205، حديث رقم 166.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ص 1267، حديث رقم 6632.

(3) مُجوِّب عليه بحجفة له = عبارة عن الدرع والترس، الحجف محركة: التروس من جلود بلا خشب، واحدتها حَجَفَة (انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، م.س، ص 89، مادة جوب، وص 1032، مادة حَجَفَ).

(4) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: 122]، ص 771، حديث رقم 4064.

والتفَّ حول الرسول ﷺ في تلك اللحظات العصيبة أبو بكر، وأبو عبيدة ثم تواردت مجموعة من الأبطال المسلمين، حيث بلغوا قرابة الثلاثين، يذودون عن رسول الله ﷺ منهم: قتادة، وثابت بن الدّحداح، وسهل بن حنيف، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمٰن بن عوف، والزُّبير بن العوام...[1] رضي الله عن الجميع.

فما أحوجنا - نحن المسلمين - اليوم أن نعتصم بكتاب ربنا تعالى، وسنة رسوله الكريم ﷺ، فنعمل بأوامر الله تعالى ونبتعد عن نواهيه، ونقتدي ونتأسى بسيرة رسولنا ﷺ، ونقدِّم محبتهما على كل شيء؛ فنحقق الإيمان الذي أراده الله منا. فنكون بذلك قدوة لأبنائنا يتأثرون بنا، فتأديبهم واجب علينا ورعايتهم حق علينا، فلنزرع في قلوبهم حبّ الله وحبّ رسوله ﷺ ليكونوا نبراساً ومشعلاً لهذه الأمة فتظللنا السماء بالبركة، وتقلنا الأرض بالخير، وتتدافع إلينا مقاليد الأمور بالنصر والتمكين، ونكون خلفاء الله في الأرض فيعم الأمن والإيمان والسلامة والإسلام، فنرفع حينئذ كلمة الله تعالى ونجعلها هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والله غالب على أمره ولو كَرِه الكافرون.

المطلب الثالث
البناء العبادي وأقوال الفقهاء فيه

تمهيد:

بناء العبادة يُعد مكمِّلاً لبناء العقيدة إذ العبادة تُغذِّي الإيمان وتزيده، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما أنها المنعكس الذي يعكس صورة العقيدة ويجسمها، والطفل عندما يتوجه لنداء ربه، ويستجيب لأوامره فإنما يلبّي غريزة فطرية في نفسه فيُشْبعها ويرويها.

(1) ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لا. ط، 1412هـ-1991م، ج 4، ص 34-35.

وإلى هذا أشار البوطي بقوله: «وكان لا بد لكي يظل غرس العقيدة قوياً في النفس من أن يُسقى بماء العبادة بمختلف صورها وأشكالها فبذلك تنمو العقيدة في الفؤاد وتترعرع وتثبت أمام عواصف الحياة وزعازعها»[1].

والطفولة ليست مرحلة تكليف وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ ليسهل عليه أداء الواجبات والفرائض، وليكون على أتم الاستعداد لخوض غمار الحياة بكل ثقة وانطلاق، والعبادة لله تعالى تفعل في نفس الطفل فعلاً عجيباً، فهي تُشعره بالاتصال بالله جلَّ وعلا، وهي تُهذِّبُ من ثوراته النفسية، وتلجم انفعالاته الغضبية، فتجعله سوياً مستقيماً، سعيداً بتذوقه لذة الطاعة والعبادة، فإذا به يُكثر منها، خاصة حين يعلم أن الحسنات تُكتب له وينتفع بها يوم القيامة، روى ابن عبد البر في التمهيد بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «تكتب للصغير حسناته ولا تكتب سيئاته»[2]. ونلاحظ من توجيهات النبي ﷺ أنه ركّز على أربعة أركان هي:

الفرع الأول: الصلاة:

هي الركن الثاني من أركان الإسلام، فالصلاة تأتي في المنزلة الثانية بعد الشهادتين، وقد فرضها الله عز وجل ليلة الإسراء والمعراج، وهي علامة على إسلام العبد وإيمانه.

لذلك أمر النبي ﷺ الأهل أن يعلِّموا أبناءهم الصلاة ويأمروهم بها وهم أبناء سبع سنين ويضربوهم على تركها إذا بلغوا عشر سنين. فقد روى أبو داود وأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (**مروا أولادكم**

(1) البوطي، محمد سعيد رمضان، تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث، دار الفارابي، دمشق، الطبعة الثانية، 1423هـ-2003م، ص 54.

(2) ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، مكتبة المؤيد، لا. ط، لا. م، 1387هـ-1967م، ج 1، ص 106.

بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرِّقوا بينهم في المضاجع)[1].

وفي رواية للترمذي: **(علِّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر)**[2] والضرب هنا للتأديب وليس للتكليف.

وقد اتفق الفقهاء على عدم وجوب الصلاة على الصبي الذي لم يبلغ لحديث النبي ﷺ: **(رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق)**[3]، وإنما يُستحب تعليمه الصلاة إذا بلغ سبع سنين إذا كان مُدرِكاً مُميِّزاً، ويُؤدَّب على تركها إذا بلغ عشر سنين[4]. والأمر بالصلاة

---

(1) سبق تخريجه، ص 13.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، ص 88، حديث رقم 407.

(3) سبق تخريجه، ص 37.

(4) ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي، شرح فتح القدير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. ط، 1415هـ-1995م، ج 1، ص 368.
- ابن عبد البر، يوسف عبد الله، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق محمد محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية 1400هـ-1980م، ج1، ص 333.
- النووي والمطيعي، محيي الدين ومحمد نجيب، المجموع شرح المهذَّب، مكتبة الإرشاد، جدة، لا. ط، لا. ت، ج 3، ص 12.
- الحصني، تقي الدين أبو بكر بن محمد، كفاية الأخيار في حلِّ غاية الاختصار، تحقيق علي بلطه جي ومحمد سليمان، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-1991م، ص 86.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الرابعة 1419هـ-1999م، ج 2، ص 49-50.
- ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، لا.ط، لا. ت، ج 2، ص 8.
- الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الرابعة، 1422هـ-2002م، ج 2، ص 1150-1151.

والتأديب على تركها قبل البلوغ هو دلالة على أهميتها لكي ينشأ الطفل محباً لها متعلقاً بها، ولكي تصبح الصلاة كأنها جزء منه لا يستطيع أن يفارقها ولا يرتاح ويطمئن إلا بها فيؤديها حين بلوغه وهو مُتلذذ بها ومُتشوِّق إليها. لذلك نجد أن أطفال الصحابة لم يكتفوا بالمحافظة على الصلوات الخمس، بل تعدّوها إلى النوافل حتى في قيام الليل كما فعل ابن عباس رضي الله عنه. فقد أخرج البخاري عنه رضي الله عنهما قال: (بتُّ في بيت خالتي ميمونة، فصلى رسول الله ﷺ العشاء، ثمَّ جاء فصلى أربع ركعات، ثمَّ نام، ثمَّ قام، فجئت فقُمت عن يساره، فجعلني عن يمينه، صلَّى خمس ركعات، ثمَّ صلى ركعتين، ثم نام حتى سمعت غطيطه، أو قال: خطيطه، ثمّ خرج إلى الصلاة)[1].

وقد رُويت قصة لطيفة عن أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رحمه الله أنه لمّا حفظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾[2] قال لأبيه: يا أبتِ مَنْ الذي يقول الله تعالى له هذا؟ قال: يا بني ذلك النبي محمد ﷺ قال: يا أبتِ مالك لا تصنع كما صنع ﷺ؟ قال: يا بني! إن قيام الليل خُصِّص به ﷺ دون أمته، فسكت عنه فلما حفظ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] قال: يا أبت إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمَن هذه الطائفة؟ قال: يابني! أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، قال: يا أبت! فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟! قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب يقوم عن يمين الإمام بحذائه سواء إذا كانا اثنين، ص 148، حديث رقم 697.
(2) سورة المزمل، الآيتان: 1-2.
(3) سورة المزمل، الآية: 20.

من الليل ويصلي، فاستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلي فقال: يا أبت علّمْني كيف أتطهر وأُصلي معك، فقال أبوه: يا بني، ارقد فإنك صغير بعد، قال: يا أبت! إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتاً ليُرَوا أعمالهم، أقول لربي إني قلت لأبي كيف أتطهر لأصلي معك فأبى وقال لي: ارقد فإنك صغير بعد أتحب هذا؟ فقال له أبوه: لا والله يا بني ما أحب هذا وعلَّمه فكان يصلي معه[1].

هذا هو حال سلفنا الصالح، حيث أُشربوا لذة العبادة من مدرسة النبوة، وأَشربوها لأبنائهم، وحضّوهم عليها، فكانوا أفضل خلف لخير سلف.

الفرع الثاني: الزكاة:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام وهي طهرة وتزكية للمزكي. قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2]. وقد أولاها الإسلام أهمية كبرى لأنها تحض على التعاون والتكافل، وتنشر المحبة والإلفة بين أفراد المجتمع، فالغني يشفق على الفقير، والفقير يحترم الغني، فيسود الأمن والطمأنينة في المجتمع، ويصبح متماسكاً متضامناً كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

وقد اختلف في وجوب الزكاة في مال الصبي على قولين:

القول الأول: قالوا تجب الزكاة في مال الصبي، وبه قال عدد كبير من الصحابة وهو قول المالكية والشافعية والحنابلة. واستدلوا بما رُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: **(ألا من وُلِّيَ يتيماً له مالٌ فليتجرْ فيه ولا يتركْه حتى تأكلَه الصدقة)**[3].

قال أبو عيسى: اختلف أهل العلم في هذا الباب فرأى غير واحد من أصحاب النبي ﷺ في مال اليتيم زكاة، منهم عمر وعلي وعائشة وابن عمر، وبه يقول مالك

(1) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م. س، ص 130.
(2) سورة التوبة، الآية: 103.
(3) أخرجه الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة مال اليتيم، ص 125، حديث رقم 641، قال أبو عيسى في إسناده مقال، وقال الألباني: ضعيف.

والشافعي وأحمد وإسحاق. وقد ذكرت سابقاً، أن صفة اليتم تُطلق على الصغير الذي لم يبلغ بعد، لحديث النبي ﷺ: (**لا يُتمَ بعد احتلام**)[1].

واستدلوا أيضاً بما رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنّ امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها: (**أتعطين زكاة هذا**) قالت: لا، قال: (**أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار**) قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ، وقالت: هما لله عز وجل ورسوله[2] [3]. قال ابن عبد البر: «وأكثر السلف على إيجاب الزكاة في أموال اليتامى، ويستحيل أن لا يؤجروا على ذلك، وكذلك وصاياهم إذا عقِلوا. وللذي يقوم بذلك عنهم أجر، كما للذي يُحِجُّهم أجر، فضلاً من الله ونعمة، فلأي شيء يحرم الصغير التعرض لفضل الله؟ وقد رُوِي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معنى ما ذكرت، ولا مُخالف له أعلمه ممن يجب اتباع قوله». ثم ذكر بسنده قول عمر رضي الله عنه: «تُكتب للصغير حسناته ولا تُكتب عليه سيئاته»[4].

القول الثاني: لا تجب الزكاة في مال الصبي وبه قال الحنفية.

قال الكاساني عند كلامه على الزكاة: عندنا فلا تجب على الصبي وهو قول

---

(1) سبق تخريجه، ص 38.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب الكنز ما هو وزكاة الصبي، ص 184، حديث رقم 1563.

(3) النووي والمطيعي، محيي الدين ومحمد نجيب، المجموع شرح المهذَّب، م.س، ج 5، ص 300.
- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، تحقيق محمد بُو خُبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1994 م، ج 3، ص 88.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، م.س، ج 4، ص 69.
- البهوتي، منصور بن يونس، الروض المربع شرح زاد المستقنع، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، لا. ط، 1390هـ-1970م، ج 1، ص 359.

(4) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، م.س، ج 1، ص 105-106.

علي وابن عباس فإنهما قالا: لا تجب الزكاة على الصبي حتى تجب عليه الصلاة، واستدلوا على قولهم بحديث النبي ﷺ: **(رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق)**[1] [2].

هذا الاختلاف في وجوب الزكاة وعدمه في مال الصبي، يدل دلالة واضحة على عناية الإسلام بالطفل واهتمامه به وتشجيعه على فعل الحسنات وعمل الخيرات ليعتاد عليها، والله جلَّ وعلا لا يُضيع أجر العاملين.

الفرع الثالث: الصوم:

عبادة الصوم روحية جسدية يتعلم منها الطفل الإخلاص الحقيقي لله تعالى، ومراقبته له في السر، فيتعلم من الصوم الصدق مع الله ليكون صادقاً مع الناس، وتتربى إرادة الطفل على البعد عن الطعام رغم الجوع، والبعد عن الماء رغم العطش.

كما يقوى على كبح جماح رغباته، ويتعود فيه الطفل الصبر والجلد، وقد ربَّى الصحابة أطفالهم على عبادة الصوم، فقد عنون البخاري في صحيحه - باب صوم الصبيان - وأورد حديث عمر حيث قال لنشوان في رمضان: ويلك وصبياننا صيام فضربه[3] [4].

قال الشافعي رحمه الله: يُؤمر بفعله لسبع سنين إذا أطاق الصوم، ويُضرب على تركه لعشر قياساً على الصلاة، فإذا بلغ لم يجب عليه قضاء ما تركه في حال

---

(1) سبق تخريجه، ص 37.

(2) الكاساني، علاء الدين بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المكتبة العلمية، بيروت، لا. ط، لا. ت، ج 2، ص 4-5.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، ص 372، بعد حديث رقم 1959.

(4) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م. س، ص 134.

الصغر[1]. وقال ابن قدامة: يُلزم الصيام، يُؤمر به ويُضرب على تركه ليتمرن عليه ويتعوده كما يُلزم الصلاة ويؤمر بها. وممن ذهب إلى أنه يؤمر بالصيام إذا أطاقه، عطاء والحسن وابن سيرين والزهري وقتادة والشافعي[2].

ورغم أن الصبي يؤمر بالصيام لسبع سنين إذا أطاقه ويضرب على تركه لعشر، فإن جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، يقولون بعدم وجوبه على الصبي حتى يبلغ واستدلوا بحديث النبي ﷺ:

(رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق)[3] [4].

إن اهتمام الصحابة - رضوان الله عليهم - بالصبيان دليل على عناية الإسلام بهذه المرحلة حتى يرسخ حب العبادة في قلوبهم ويتعودوا عليها، فإذا بلغوا مرحلة التكليف قاموا بها على أكمل وجه وأحسن حال، فالصحابة ﷺ كانوا يُهيئون لأطفالهم اللعب ليتسلّوا بها أثناء الصيام، فلا يشعرون بطول النهار. أخرج البخاري ومسلم عن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: **(مَن أصبح منكم صائماً فليصم)** قالت: فكنا نصومه بعد،

---

(1) النووي والمطيعي، محيي الدين ومحمد نجيب، المجموع شرح المهذَّب، م.س. ج6، ص 254.

(2) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، م.س، ج 4، ص 412-413.

(3) سبق تخريجه، ص 37.

(4) الكاساني، علاء الدين بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، م.س، ج 2، ص 87.

- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، م.س.، ج 2، ص 533.

- النووي والمطيعي، محيي الدين ومحمد نجيب، المجموع شرح المهذَّب، م.س، ج 6، ص 254.

- الحصني، تقي الدين أبو بكر بن محمد، كفالة الأخيار في حلِّ غاية الاختصار، م.س، ص 197.

- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، م.س، ج 4، ص 413.

ونصوّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم أعطيناه ذاك حتى يكون الإفطار.[1] هكذا كان الصحابة ﷺ يعتنون بجيل الطفولة ليتعودوا على تحمل المسؤولية والأمانة، ليحملوا رسالة هذا الدين نقياً صافياً إلى خلفهم لتكون هذه الأمة خليفة الله في أرضه.

الفرع الرابع: الحج:

هو الركن الخامس من أركان الإسلام, وهو واجب على كل مسلم حر بالغ عاقل، مَلَكَ الزاد والراحلة. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2] وقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، إلى عدم وجوب الحج على الصبي الذي لم يبلغ، واستدلوا بحديث النبي ﷺ: (**رفع القلم عن ثلاثة: . . . وعن الصبي حتى يحتلم. . .**)[3]، ولكن يُستحب الحج بالصبيان ويُستحسن، وله ولوليّه الأجر - إن شاء الله -[4]، وذلك ليتعود الطفل على العبادات، ليعتاد الصلة بالله تعالى ومناجاته والاستجابة لأوامره، وليتهيأ للتكليف الذي ينتظره عند بلوغه، فلا يجد العبادات صعبة وشاقة عليه، وإنما مألوفة لديه.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، ص 372، حديث رقم 1960.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الصيام، من أكل يوم عاشوراء فليكفّ بقية يومه، ج 8، ص 255، حديث رقم 2664.

(2) سورة آل عمران، الآية: 97.

(3) سبق تخريجه، ص 37.

(4) ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي، شرح فتح القدير، م.س، ج 2، ص 420.
- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، الذخيرة، م. س، ج 3، ص 297.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، م.س، ج1، ص 102-103.
- الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، دار المعرفة، بيروت، لا. ط، لا. ت ج 2، ص 110-111.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، م.س، ج 5، ص 6.

لذلك نجد الصحابة ﷺ، كانوا يحجون بأطفالهم ليعتادوا على العبادة. أخرج البخاري عن السائب بن يزيد قال: حُجَّ بي مع رسول الله ﷺ وأنا ابن سبع سنين[1].

وروى مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: رفعت امرأة صبياً لها، فقالت: يا رسول الله. ألهذا حج؟ (قال: نعم، ولك أجر)[2].

قال ابن عبد البر في مسألة الحج بالصبيان الصغار: «اختلف العلماء في ذلك، فأجازه مالك والشافعي وسائر فقهاء الحجاز من أصحابهما وغيرهم، وأجازه الثوري وأبو حنيفة وسائر فقهاء الكوفيين، وأجازه الأوزاعي والليث بن سعد، فيمن سلك سبيلهما من أهل الشام ومصر.

وكل مَنْ ذكرناه يَستحب الحج بالصبيان، ويأمر به ويستحسنه، وعلى ذلك جمهور العلماء من كل قرن[3].

وقال ابن حجر: قال ابن بطال: (أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ، إلا أنّه إذا حج به كان له تطوعاً عند الجمهور)[4].

والحج - كما هو معروف - يجمع مشقات العبادات كلها، فهو عبادة قلبية وبدنية ومالية، وبالإضافة إلى أنه يجمع لذتها جميعاً، فإذا حج الصبي فهذه علامة وبشارة على سلوك الطاعة والعبادة لله ﷻ في المستقبل عند بلوغه وتكليفه.

ذكر الكاساني في البدائع لطيفة فقهية فقال: «ولو أحرم الصبي ثمَّ بلغ قبل

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب حج الصبيان، ص 353، حديث رقم 1858.

(2) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الحج، باب صحة حج الصبي وأجر من حج به، ج 9، ص 104، حديث رقم 3241.

(3) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، م.س، ج 1، ص 3.

(4) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثالثة 1407هـ، ج 4، ص 85.

الوقوف بعرفة فإن مضى على إحرامه يكون حجة تطوعاً عندنا. وعند الشافعي يكون عن حجة الإسلام إذا وقف بعرفة وهو بالغ، وهذا بناء على أن مَن عليه حجة الإسلام إذا نوى النفل يقع عن النفل عندنا، وعنده يقع عن الفرض - ولو جدّد الإحرام بأن لبى أو نوى حجة الإسلام ووقف بعرفة وطاف طواف الزيارة يكون عن حجة الإسلام بلا خلاف»[1].

المطلب الرابع
البناء الأخلاقي والسلوكي

تمهيد:

«الخُلُق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية من حسنة وسيئة وجميلة وقبيحة، وهي قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها، فإذا ما رُبِّيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق وحب المعروف والرغبة في الخير، ورُوِّضت على حُبِّ الجميل، وكراهية القبيح وأصبح ذلك طبعاً لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة، ودون تكلُّف قيل فيه: خُلُق حَسَن. ونُعتت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلُّف بالأخلاق الحسنة...»[2].

والطفل أشد احتياجاً لهذا البناء الأخلاقي، لتكون حركته الاجتماعية سليمة، وهذا يستدعي اعتناء الوالدَيْن بأطفالهما ليعلموهما فضائل الأخلاق في هذه المرحلة التي تتميز بالفطرية والصفاء وسرعة التلَقِّي والاستجابة.

وإلى هذا أشار ابن قيِّم الجوزية - رحمه الله تعالى - فقال: «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلقِه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره

(1) الكاساني، علاء الدين بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، م.س، ج 2، ص 121.

(2) الجزائري، أبو بكر جابر، منهاج المسلم، المكتبة العلمية، لا.م، لا. ط، 1410هـ-1990م، ص 165.

من حرد[1] وغضب ولجاج وعجلة وخفة مع هواه، وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كِبَره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته لا بدَّ يوماً ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها»[2].

والآداب الأخلاقية التي ينبغي للوالدين والمربين تعليمها للأطفال منذ الصغر كثيرة، من أهمها:

الفرع الأول: الأدب مع الوالدَيْن:

يؤمن المسلم بحق الوالدين عليه وواجب برِّهما وطاعتهما والإحسان إليهما لا لكونهما سبب وجوده فحسب، أو لكونهما قدَّما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافأتهما بالمثل، بل لأن الله ﷻ أوجب طاعتهما وكتب على الولد برِّهما والإحسان إليهما، حتى قرن ذلك بحقه الواجب له من عبادته وحده دون غيره فقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[3].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: (**الصلاة على وقتها**) قال: قلت: ثم أي؟ قال: (**بر الوالدين**) قال: قلت: ثمَّ أي؟ قال: (**الجهاد في سبيل الله**)[4].

---

(1) الحرد: الغضب والتنحي والعدول، والحريد المتحول عن قومه (انظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج 2، ص 51-52، مادة حرد).

(2) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد، تحفة المودود بأحكام المولود، م.س، ص 162.

(3) سورة الإسراء، الآيتان: 23-24.

(4) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، ص 121، حديث رقم 527.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ج 2، ص 363، حديث رقم 248.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه)**[1].

فعلى الوالدين أن يكونا قدوة لأولادهما ببرهم لوالدَيْهم بالفعل والقول، وبالتالي على الولد أن يلتزم إزاء والديه بالآداب الآتية:

1 - طاعتهما في كل ما يأمران به، أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله تعالى ومخالفة لشريعته، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[2]. ولقوله ﷺ: **(لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل)**[3].

وفي رواية للبخاري **(لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف)**[4].

2 - صلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قِبلهما، وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما، لقوله ﷺ: **(إن مِن أبرِّ البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولِّي)**[5].

3 - توقيرهما وتعظيم شأنهما وخفض الجناح لهما، وتكريمهما بالقول والفعل، فلا ينهرهما، ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يتأفف في وجههما، ولا يمشي أمامهما، ولا يجلس قبلهما ولا يدعهما باسمهما، وعليه أن يُكثر من الدعاء لهما.

قال النووي رحمه الله: «باب نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه»[6].

---

(1) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، ج 10، ص 392، حديث رقم 3778.

(2) سورة لقمان، الآية: 15.

(3) أخرجه أحمد، مسند علي بن أبي طالب، ج 1، ص 278، حديث رقم 1095.

(4) أخرجه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، ص 1384، حديث رقم 7257.

(5) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب البر والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، ج 16، ص 326، حديث رقم 6462.

(6) النووي، محيي الدين يحيى، الأذكار، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الهدى، الرياض، الطبعة الثالثة، 1410هـ-1990، ص 416.

وخلاصة القول: إن على الوالدين والمربين تلقين الأولاد هذه الآداب السلوكية مع آبائهم وأمهاتهم - التي سبق ذكرها - منذ الصغر بالقول والفعل، وأن يُحذِّروهم من عقوقهم ومخالفة أوامرهم، فعقوق الوالدين من أكبر الكبائر، أخرج البخاري ومسلم عن أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ: **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **(الإشراك بالله وعقوق الوالدين،** - وكان متكئاً فجلس فقال: - **ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور)** فما زال يقولها حتى قلت: ليته سكت[1].

الفرع الثاني: أدب الاحترام والتوقير:

إن من واجب الوالدين والمربين أن يزرعوا في نفوس الأولاد احترام وتوقير الكبير وصاحب الفضل منذ الصغر، لينشأوا على هذا الخلق ويلازمهم في مرحلة الشباب.

أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يُوسِّعُوا له فقال النبي ﷺ: **(ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويُوَقِّر كبيرنا)**[2].

وفي رواية أحمد عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: **(ليس من أمتي من لم يُجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا)**[3].

وقد رجعت إلى روايات الحديث في المسند، فوجدْتُ الحديث ينتهي بكلمة (لعالمنا) دون ذكر لفظة (حقه).

---

(1) كتاب البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ص 1159، حديث رقم 5976.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج 2، ص 269، حديث رقم 255.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، ص 324، حديث رقم 1919.

(3) أخرجه أحمد، مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت، ج 8، ص 412، حديث رقم 22819.

وروى أبو داود عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ(**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المُقسط**)[1].

وعن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: (**أراني في المنام أتسوَّك بسواك فجاءني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولتُ السواك الأصغر منهما، فقيل لي: كَبِّر، فدفعته إلى الأكبر منهما**)[2].

الفرع الثالث: أدب الطعام والشراب:

للطعام والشراب آداب، فعلى الوالدين والمربين تعليمهما للأولاد وإرشادهم إليها وملاحظة تطبيقهم لها ليتعوَّدوا على فعلها. ومن أهمها:

1 - التسمية في أوله والحمد في آخره: روى أبو داود والترمذي عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقلْ بسم الله أوله وآخره**)[3].

وروى الترمذي عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها**)[4].

---

(1) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ص 526، حديث رقم 4843.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر، ص 246، حديث رقم 246.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي (، ج 15، ص 33، حديث رقم 5892

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، ص 415، حديث رقم 3767.

- والترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام، ص 315، حديث رقم 1858.

(4) أخرجه الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه، ص 309، حديث رقم 1816.

2 - ألَّا يعيب طعاماً قُدِّم إليه: روى البخاري عن أبي هريرة قال: (ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه)[1].

3 - أن يأكل بيمينه وممَّا يليه: روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحفةِ، فقال لي رسول الله ﷺ: **(يا غلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك)** فما زالت تلك طعمتي بعد[2].

4 - ألَّا يأكل متكئاً: لما روى البخاري عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا آكل متكئاً)**[3]. ولعل الأكل بهذه الهيئة فيه ضرر صحي وهو مظهر من مظاهر التكبر.

5 - ألَّا يبدأ بالطعام ويوجد من هو أكبر منه: لما رواه أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال: (كنا إذا حضرنا مع رسول الله طعاماً، لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله ﷺ)[4].

6 - ألَّا يستهتر بالنعمة ولو بقليلها: لما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليُمِط ما كان بها من أذى، ثمَّ**

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعاماً، ص 1069، حديث رقم 5409.

(2) البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ص 1064، حديث رقم 5376.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ج 13، ص 193، حديث رقم 5237.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئاً، ص 1068، حديث رقم 5398.

(4) أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، ص 415، حديث رقم 3766.

ليأكلها، ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة)[1].

7 - ألَّا يأكل أو يشرب بشماله: لما رواه الترمذي عن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله)**[2].

8 - أن يدعوَ لمضيفه إذا فرغ من الطعام: لما رواه أبو داود عن أنس أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل ثمَّ قال النبي ﷺ: **(أفطرَ عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلَّت عليكم الملائكة)**[3].

9 - ألَّا يشرب من في السقاء: لِما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: (نهى النبي ﷺ أن يُشرب من في السقاء)[4].

هذه الآداب مُشترَكة بين الطعام والشراب، فيجب على المربين تعليمها للأولاد منذ الصغر لينشأوا عليها ويتعودوا على فعلها، فتصبح جزءاً من أخلاقهم وآدابهم وسلوكهم.

الفرع الرابع: أدب المظهر في الشعر واللباس:

إهتم الإسلام بمظهر المسلم اهتماماً كبيراً لدرجة أنه لم يهمل مظهر الطفل سواء أكان في شعره وحلاقته، أو في لباسه، وكل هذا دليل على العناية الفائقة

(1) أخرجه مسلم، كتاب الأطعمة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى وكراهة مسح اليد قبل لعقها، ج 13، ص 205، حديث رقم 5271.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في النهي عن الأكل والشرب بالشمال، ص 308، حديث رقم 1799.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده، ص 423، حديث رقم 3854.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب من فم السِّقاء، ص 1106، حديث رقم 5628.

لتي أولاها الإسلام للطفل لما لمرحلة الطفولة من التأثير على المسلم في مراحل حياته المُقبِلة كلها.

روى أبو داود عن ابن عمر أن النبي ﷺ رأى صبياً قد حلق بعض شعره وترك بعضه فنهاهم عن ذلك، وقال: (**احلقوه كلّه أو اتركوه كله**)[1].

وفي الصَحيحَيْن عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر: (أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع، قال: قلت لنافع: وما القزع؟ قال: يحلق بعض رأس الصبي ويترك بعض)[2].

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله قال شيخنا (يعني شيخ الإسلام ابن تيمية): «وهذا من كمال محبة الله ورسوله للعدل، فإنه أمر به حتى في شأن الإنسان مع نفسه، فنهاه أن يحلق بعض رأسه ويترك بعضه، لأنه ظُلْمٌ للرأس حيث ترك بعضه كاسيًا وبعضه عاريًا، ونظيره نهى أن يمشي الرجل في نعل واحدة بل إما أن ينعلهما أو يحفيهما، والقزع أربعة أنواع:

أحدهما: أن يحلق من رأسه مواضع من ها هنا وها هنا، مأخوذ من تقزع السحاب وهو تقطعه.

الثاني: أن يحلق وسطه ويترك جوانبه، كما يفعله شمامسة النصارى (وهو من يقوم بالخدمة الكنسية ومرتبته دون القسيس).

الثالث: أن يحلق جوانبه ويترك وسطه، كما يفعله كثير من الأوباش والسفلة.

الرابع: أن يحلق مقدّمه ويترك مؤخّره، وهذا كله من القزع. والله أعلم»[3].

وقد انتشر القزع في مجتمعنا - خاصة النوع الثالث منه - بسبب بُعد المسلمين عن اتباع تعاليم دينهم، وعدم العلم بكثير من أحكام ومبادئ وقِيم هذا الدين،

---

(1) أخرجه أبو داود، كتاب الترجّل، باب في الذؤابة، ص 457، حديث رقم 4195.
(2) سبق تخريجه، ص 182.
(3) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد، تحفة المودود بأحكام المولود، م. س، ص 73.

وبسبب التقليد الشديد للغرب في كثير من عاداتهم ومبادئهم الهدَّامة، التي لا تعرف للأديان وزناً ولا للأخلاق قيمة.

وكذلك على المسلم أن يعتنيَ بلباس أطفاله وبناته، فيُلبسهم اللباس الساتر لعورتهم، واللائق بهم، فقد أمر الله تعالى بذلك فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[1].

وامتنَّ الله ﷻ على عباده باللباس فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[2].

وقد بيَّن النبي ﷺ ما يجوز من اللباس بحق الرجل والمرأة، وما لا يجوز. ومن ذلك:

1 - ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبَيْن مُعصفرَيْن، فقال: **(إنَّ هذه من ثيابِ الكفارِ فلا تلبسْها)**.

وفي رواية أخرى قال ﷺ: **(أأُمُّك أمرتك بهذا؟)** قلت: أغسلُهما، قال: **(بل أحرقْهما)**[3]. هذه القاعدة التي وضعَها رسول الله ﷺ في عدم متابعة ومشابهة الكفار في اللباس، ينبغي أن نُلقنها للطفل منذ صغره ليتعود على اتباع سنة رسول الله ﷺ منذ الصِّغَر ويبتعدَ عن الألبسة المُحرَّمة.

2 - عدم لبس الحرير للذكر: لِما رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إن نبي الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال: **(إن هذَيْن حرامٌ على ذكورِ أمَّتي)**»[4].

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 31.

(2) سورة الأعراف، الآية: 26.

(3) أخرجه مسلم، كتاب اللباس، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، ج 14، ص 279، حديث رقم 5401، 5403.

(4) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء، ص 444، حديث رقم 4057.

قال الكاساني في تحريم لبس الحرير: «ولا فرق بين الكبير والصغير في الحرمة بعد أن كان ذكراً، لأن النبي ﷺ أراد هذا الحكم على الذكورة بقوله عليه السلام هذان حرام على ذكور أمتي، إلا أنَّ اللابس إذا كان صغيراً، فالإثم على مَنْ ألبسه لا عليه، لأنه ليس من أهل التحريم عليه، كما إذا سُقِي خمراً فشربها كان الإثم على الساقي لا عليه كذا ها هنا»[1].

3 - تعويد البنت على لبس الثياب الساترة منذ الصغر، فإذا بلغت سن التكليف وجدَتْ نفسها متهيئة للباس الذي يسترها ويليق بأنوثتها. روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: **(يا أسماء، إنَّ المرأة إذا بلغَتِ المحيض، لم تصلحْ أن يُرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفَّيه)**[2].

4 - أن لا يلبس الرجل لبسة المرأة، ولا تلبس المرأة لبسة الرجل، وعدم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال مطلقًا: لِمَا رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال)[3].

ولما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل)[4].

لذلك فمسؤولية الوالدَيْن كبيرة، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الموضات والموديلات والتشبّه بالكفار والكافرات، في جميع شؤون حياتهم

---

(1) الكاساني، علاء الدين بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، م.س، ج 5، ص 131.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب فيما تُبدي المرأة من زينتها، ص 448، حديث رقم 4104.

(3) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، ص 1147، حديث رقم 5885.

(4) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، ص 447، حديث رقم 4098.

وخاصة في اللباس والشعر، فكثير من المسلمين والمسلمات يلهثون وراء الموضات المتغيرة، والمظاهر المتعددة، مُقلِّدين ممثلاً أو ممثلةً، وراقصاً أو راقصةً، وعارياً أو عاريةً، وكل ذلك سببه تخلّي المربين والمربيات عن دورهم في تربية الطفل، وتنشئته النشأة المميزة، ليكون الطفل المسلم مُميَّزاً بمظهره وملبسه الساتر للعورة، ومأكله ومشربه، واحترامه وتوقيره وشأنه كله.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «والصبي وإن لم يكن مُكلَّفًا فوليُّه مُكلَّف لا يحل له تمكينه من المحرم، فإنه يعتاده ويعسر فطامه عنه» إلى أن قال: «فإن الصبي وإن لم يكن مكلفاً فإنه مستعد للتكليف»[1].

الفرع الخامس: خُلق الصدق:

يُعتبر الصدق من الصفات العظيمة التي تضْمن للمجتمع الإسلامي تماسكه واستقراره. فالمسلم يحب الصدق ويلتزمه ظاهرًا وباطنًا في أقواله وأفعاله. فالله تعالى أمر بالصدق وأثنى على المُتَّصفين به فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم﴾[3].

والصدق يهدي إلى البرّ، والبرُّ يهدي إلى الجنة، والجنة أسمى غايات المسلم وأقصى أمانيه، والكذب وهو خلاف الصدق وضدُّه، يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، والنار مِن شر ما يخافه المسلم ويتّقيه.

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **(عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإياكم والكذب، فإن**

(1) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد، تحفة المودود بأحكام المولود، م. س، ص 163.

(2) سورة التوبة، الآية: 119.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 23.

الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذّابًا)[1].

ولأهمية هذا الخلق، فقد اهتم رسول الله ﷺ بتثبيته في الطفل، من خلال مراقبة تصرفات الوالدَيْن مع أطفالهما، وتجنيبهم الوقوع في خطيئة الكذب على الطفل، لكي ينشأ الطفل على خُلُق الصدق.

أخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر أنه قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: **(وما أردْتِ أن تعطيه)** قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: **(أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة)**[2].

وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ أكَّد على الالتزام بفضيلة الصدق لِمَا لها من فوائد تضمن للمجتمع الإسلامي تماسكه واستقراره. وحذَّر من رذيلة الكذب لِمَا لها من مساوئ وأضرار على المجتمع تجره إلى الشر والفساد، وكان أبغض شيء إلى رسول الله ﷺ الكذب.

أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان خُلُقٌ أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب»[3].

فعلى الوالدَين والمربين أن يلتزموا خُلُق الصدق قولاً وفعلاً، ليكونوا قدوة للأولاد والأطفال، فيشبّوا على هذا الخلق العظيم متأسين بذلك برسول الله ﷺ الذي لُقِّب بالصادق الأمين منذ الصِّغر.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 119] وما يُنهى عن الكذب، ص 1177، حديث رقم 6094.
- ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج 16، ص 376، حديث رقم 6582.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، ص 540، حديث رقم 4991.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب، ص 330، حديث رقم 1973.

الفرع السادس: خُلق حفظ الأمانة:

«الأمانة من أجمل ما يتحلى به الإنسان من الفضائل، وضدها الخيانة: وهي من أقبح الرذائل التي تَشِين الإنسان وتحطُّ من قدره. وهي حلية أهل الفضل، وزينة أهل العلم، وهي مع الصدق من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام»[1].

وهي خلق أصيل اتصف به سيدنا محمد ﷺ من عهد الطفولة حتى وصفه المشركون بالصادق الأمين، وفي ذلك عبرة للطفل المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ.

وقد مدح الله تعالى المتَّصفين برعايتها وأدائها فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[2] ونهى عن خيانتها فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

والمُربّي الأول ﷺ كان يوجِّه المسلمين دائمًا إلى الالتزام بالأمانة وأدائها ويُشدِّد على الالتزام بها بالقول والفعل، عن أنس رضي الله عنه قال: ما خَطَبَنا النبي ﷺ إلا قال: **(لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)**[4].

وحكم ﷺ على مُضيِّع الأمانة بالخيانة. أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُتُمِنَ خان)**[5].

وقد أكَّد ﷺ خُلُق حفظ الأمانة وأدائها بفعله ومعاملته - حتى مع المشركين - رغم العداوة والبغضاء، التي كانت تسيطر عليهم تجاهه ﷺ.

---

(1) شاكر، محمد، وصايا الآباء للأبناء، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م، ص 52.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 8.

(3) سورة الأنفال، الآية: 27.

(4) أخرجه أحمد، مسند أنس بن مالك بن النضر، ج 4، ص 420، حديث رقم 13198.

(5) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ص 30، حديث رقم 33.
- مسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، ج 2، ص 235، حديث رقم 208. وللحديث روايات متعددة.

قال ابن إسحاق: «. . . أما عَلِيّ فإن رسول الله ﷺ أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلّف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لِمَا يعلم من صدقه وأمانته ﷺ»[1].

هذا الفعل منه ﷺ يعبر عن أقصى درجة لحفظ الأمانة حتى مع الأعداء، وفيه تعليم للمسلمين أن يحافظوا على هذا الخلق الذي يدل على الإيمان، لكي يعلموه لأبنائهم منذ الصِّغر فيشبوا على التمسك بهذا الخُلُق الرفيع، الذي يعكس الصورة الصحيحة لهذا الدين، فيظهر بأفضل صوره.

فحفظ الأمانة يدل على الإيمان، وخيانتها يدل على النفاق.

المطلب الخامس
البناء الاجتماعي

تمهيد:

ينبغي على المربّين والوالدَيْن «تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة. . . تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة، والشعور الإيماني العميق، ليظهر الولد في المجتمع على خير ما يظهر به من حُسْن التعامل والأدب، والاتزان والعقل الناضج والتصرف الحكيم. . .

ولا شكَّ أنَّ هذه المسؤولية من أهم المسؤوليات في إعداد الولد لدى المربين والآباء، بل هي حصيلة كل تربية سبق ذكرها، سواء أكانت التربية إيمانية أم خُلُقية أم نفسية. . . لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية التي تربي الولد على أداء

(1) ابن هشام، محمد، سيرة النبي ﷺ، م. س، ج 2، ص98.
- الندوي، أبو الحسن علي، السيرة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لا. ط، 1399هـ-1979م، ص 188.

الحقوق، والتزام الآداب، والرقابة الاجتماعية، والاتزان العقلي، وحُسْن السياسة، والتعامل مع الآخرين.

ومن الثابت تجربة وواقعاً أن سلامة المجتمع، وقوة بنيانه وتماسكه... مرتبطان بسلامة أفراده وإعدادهم... ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعياً وسلوكياً. حتى إذا تربّوا وتكوّنوا وأصبحوا يتقلّبون على مسرح الحياة، أعطَوا الصورة الصادقة عن الإنسان الانضباطي المتّزن العاقل الحكيم.

فما على المربين إلا أن يشمروا عن ساعد الجد والعزيمة، ليقوموا بمسؤولياتهم الكبرى في التربية الاجتماعية على وجهها الصحيح، عسى أن يساهموا في مجتمع إسلامي أفضل، تقوم ركائزه على الإيمان والأخلاق، والتربية الاجتماعية الفاضلة، والقيم الإسلامية الرفيعة... وما ذلك على الله بعزيز»[1].

ومن أهم الآداب الاجتماعية:

الفرع الأول: أدب الاستئذان:

أدب الاستئذان واجب الكبير والصغير، وله مكانة خاصة في التشريع الإسلامي، حتى خصَّه الله تعالى بآيات تُتلى على مرِّ الأجيال، وتعاقب الزمان، وله أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية والأُسَرية[2].

فعلى المربي أن يرسِّخ هذا الأدب في الولد ويعلِّمه إياه امتثالاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ...﴾[3].

(1) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، م. س، ج 1، ص 353.
(2) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م.س، ص 167.
(3) سورة النور، الآيتان: 58-59.

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات: «هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض... فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال:

الأول: من قبل صلاة الغداة لأن الناس إذ ذاك يكونون نيامًا في فرشهم، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾[1] أي وقت القيلولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾[1] لأنه وقت النوم، فيؤمَر الخدم والأطفال ألا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال، لما يُخشى أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الأعمال»[2].

فهذه الأحوال الثلاثة سماها الله تعالى عورة، فالإنسان في هذه الأحوال قد يكون مبتذَلا لا يحب أن يراه أحد.

وهذه العورات الثلاث خاصة في استئذان الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا الحلم. فإذا بلغوا وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال.

قال الشوكاني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ فالإذن واجب على كل خلق الله أجمعين[3].

وكما يُسَن أن يستأذن المسلم على الأقارب، فكذلك عليه أن يستأذن في الدخول على الأجانب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾[4].

---

(1) سورة النور، الآية: 58.

(2) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.، ج 4، ص 571-572.

(3) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، لا. ط، لا. ت، ج 4، ص 55.

(4) سورة النور، الآية: 27.

«حتى تستأنسوا: من الأُنس والاطمئنان. فعلى المُستأذن أن يُحدث من الصوت ما يأنس به صاحبُ الدار»[1].

وعلى مريد الدخول أن يستأذن ثلاثاً فإن أُذن له دخل وإلّا رجع، لما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع)**[2].

قال الناظم:

وسنةٌ استئذانه لدخوله ... على غيره من أقربين وبُعَّدِ
ثلاثاً ومكروهٌ دخول لهاجم ... ولا سيَّما من سفرة وتبعُّدِ[3]

وهكذا نجد أن القرآن الكريم أمر الوالدَيْن بتعليم الطفل الاستئذان، وتدرَّج في أحكامه، فقبل الاحتلام يستأذن الطفل في ثلاثة أوقات حرجةٍ في حياة الوالدَين الزوجية، حتى إذا بلغ الطفل الحلم ودخل سن التكليف، أُمِر بالاستئذان في كل آن، وفي كل مكان، في البيت وغيره. وكلما وجد الباب في وجهه مغلقاً استأذن دون أن يستقبل الباب، لِمَا رواه أبو داود عن عبد الله بن بُسر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم، وذلك أن الدُّور لم يكن عليها يومئذ ستور»[4].

---

(1) الشعراوي، محمد متولي، الآداب الإسلامية في القرآن الكريم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، لا. ط، لا. ت، ص 571.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ص 1202، حديث رقم 6245.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الآداب، باب الاستئذان، ج 14، ص 356، حديث رقم 5591.

(3) المرداوي الحنبلي، شمس الدين محمد بن عبد القوي، تحفة الأحباب شرح نظم الآداب، تحقيق: أبو يوسف محمد بن عمر سماعي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م، ص 30.

(4) أخرجه أبو داود، كتاب كم مرة يُسلِّم الرجل في الاستئذان، ص 557، حديث رقم 5186.

والرسول ﷺ - وهو قائد الأمة ومعلِّمها - يستأذن الطفلَ بحضرة الأشياخ، ليرشد الكبار ويعرفهم حق الطفل، ليلتزموا هذا الأدب ويعلموه للأطفال. أخرج الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: **(أتأذن لي أن أعطي هؤلاء)** فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أُوثِر بنصيبي منك أحدًا، قال: فتَلَّه رسول الله ﷺ في يده»[1].

فمن خلال هذه اللفتات القرآنية والنبوية، فإنه لا يخفى على أحد مدى اهتمام الإسلام بتربية الأولاد، اجتماعيًّا وتكوينهم سلوكيًّا وخلقيًّا، حتى إذا بلغوا سن التكليف كانوا نموذجاً وقدوة في أدبهم وخلقهم وتصرفاتهم.

الفرع الثاني: أدب السلام:

«السلام سنة عين مِن المنفرد، وسنة على الكفاية مِن الجماعة، والأفضل السلام من جميعهم»[2].

فالله تعالى أمر به المؤمنين فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ﴾[3].

حتى أن الله تعالى أمر من دخل بيتاً ولم يجد أحداً أن يسلِّم على نفسه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗ﴾[4].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل مَن عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر، ص 1105، حديث رقم 5620.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن، ونحوهما عن يمين المبتدئ، ج 13، ص 201، حديث رقم 5260.

(2) ابن مفلح المقدسي، محمد، الآداب الشرعية والمنح المرعية، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م، ج 1، ص 327.

(3) سورة النور، الآية: 27.

(4) سورة النور، الآية: 61.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن إفشاء السلام من موجبات المحبة بين الناس. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)**[1].

ويقصد المسلم بسلامه كل أحد من المسلمين سواء كان معروفاً له أو مجهولاً عنده لا يعرفه. روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: (أي الإسلام خير؟ قال: **(تُطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت، وعلى من لم تعرف)**[2].

قال الناظم:

وإفشاؤُكَ التسليمَ يُوجِبُ محبةً من الناس معروفاً ومجهولاً أقصِدِ

جاء في شرحها: «ولعلَّ المراد من السلام على من عرف ومن لم يعرف، أنه يكثر منه ويُفشيه ويُشيعه»[3].

والردّ على التحية واجب، والأفضل أن يُرَد بأفضل منها. قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[4].

ولا يجوز ترك التسليم على المسلم المُتمسِّك بأحكام دينه، غير المجاهر بالمعاصي، فوق ثلاثة أيام، لِمَا رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

(1) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، ج 2، ص 224، حديث رقم 192.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ص 1201، حديث رقم 6236.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، ج 2، ص 200، حديث رقم 159.

(3) السَّفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة الأولى/ 1417هـ-1996، ج 1، ص 225-226.

(4) سورة النساء، الآية: 86.

قال: **(لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)**[1].

ولأهمية هذا الأدب حرص النبي ﷺ على تلقينه للأطفال، فقد ثبت أنه ﷺ كان يُسلِّم على الصبيان، وبذلك يشعر الطفل بوجوده وأهميته وأنه معنيّ بهذه الآداب فهو مطالب بإلقاء السلام، وينبغي أن يبادر هو بالسلام على الكبير.

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله[2].

وفي رواية لمسلم: (أن رسول الله ﷺ مرَّ على غلمان فسلَّم عليهم)[3].

وقد ذكر ﷺ آداباً للسلام ومنها: روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(يُسلِّم الرّاكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير)**.

وفي رواية أخرى للبخاري **(يُسلِّم الصغير على الكبير...)**[4].

فعلى المربين أن يتقيدوا بآداب السلام، ويعلموها أولادهم، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية، وفي تعاملهم مع الناس.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ص 1201، حديث رقم 6237.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الأدب، البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث، بلا عذر شرعي، ج 16، ص 333، حديث رقم 6478.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، ص 1203، حديث رقم 6247.

(3) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، ج 14، ص 373، حديث رقم 5628.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، يسلم الماشي على القاعد، وباب يسلم الصغير على الكبير، ص 1200، حديث رقم 6233، 6234.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، ج 14، ص 365، حديث رقم 5611.

الفرع الثالث: أدب الجلوس والمجلس:

المسلم حياته كلها خاضعة وتابعة للمنهج الإسلامي الذي تناول كل شأن من شؤون الحياة حتى جلوس المسلم وكيفية مجالسته لإخوانه. فالنبي ﷺ أرشد المسلم إلى جملةٍ من الآداب في جلوسه ومجالسته منها:

1 - أن يُسلِّم على أهل المجلس ويصافحهم: لِمَا روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما مِن مسلمَيْن يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا)**[1].

2 - أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولا يُقيمن أحداً مِن مجلسه ليقعد فيه، ولا يجلس بين اثنَيْن إلا بإذنهما. لِما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(لا يُقيم الرجلُ الرجلَ من مقعده، ثم يجلس فيه ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا)**[2]. ولقوله ﷺ: **(لا يحل للرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما)**[3].

3 - إذا قام أحد من مجلسه وعاد إليه فهو أحقُّ به لقوله ﷺ: **(إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه، فهو أحقُّ به)**[4].

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، ص 440، حديث رقم 2727.
- وابن ماجه، كتاب الأدب، باب المصافحة، ص 530، حديث رقم 3703.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، ص 1207، حديث رقم 6269.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، ج 14، ص 384، حديث رقم 5648.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما، ص 526، حديث رقم 4845.
- والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنهما، ص 444، حديث رقم 2752.

(4) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب السلام، باب إذا قام من مجلسه ثم عاد فهو أحق به، ج 14، ص 386، حديث رقم 5653.

4 - إذا جلس يراعي الآداب الآتية: أن يجلس وعليه وقار وسكينة، ولا يشبّك بين أصابعه، ولا يعبث بلحيته أو خاتمه، ولا يخلل أسنانه، أو يُدخل إصبعه في أنفه، أو يكثر من البصاق والتنخم، أو يُكثر من العطاس والتثاؤب، وليكن مجلسه هادئاً قليل الحركة، وليكن كلامه منظوماً متَّزناً، وإذا تحدث فليتحرَّ الصواب، ولا يكثر من الكلام وليتجنب المزاح والمراء، وأن لا يتحدث بإعجاب عن أهله وأولاده، أو صناعته أو إنتاجه المادي والأدبي، من شعر أو تأليف، وإذا تحدَّث غيرُه, أصغى يسمع، غير مُفرط في الإعجاب بحديث مَنْ يسمعه، وأن لا يُقاطع الكلام أو يطلب إليه إعادته، لأن ذلك يسوء المُتحدّث[1].

ومن آداب الجلوس، أن يستغفر الله عند قيامه من مجلسه تكفيراً لما قد وقع فيه من لغو أو لغط أو أي كلام لا يُرضي الله تعالى، فالنبي ﷺ كان يحمد الله ويستغفره ويتوب إليه عند قيامه من المجلس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من جلس في مجلس فكَثُر فيه لَغَطُه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، إلّا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**)[2].

هذه بعض الآداب والقواعد التي وضعها الإسلام للجلوس والمجلس، فعلى المربين أن يلتزموها ويتقيدوا بها، ويعلموها أولادهم منذ صِغرهم، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية، وفي تعاملهم مع الناس، فيلتزموا بها في جلوسهم ومجالسهم.

---

(1) الجزائري، أبو بكر، منهاج المسلم، م.س، ص 140.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، ص 528، حديث رقم 4857.

- والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، ص 543، حديث رقم 3433، واللفظ للترمذي.

الفرع الرابع: أدب العطاس والتثاؤب:

أمر الإسلام المسلم أن يلتزم بكثير من الأخلاق والآداب، ليظهر المسلم بين أبناء المجتمع بمظهر لائق وكريم، بالتزامه هذه الآداب. ومن الآداب الاجتماعية التي أمر الإسلام بها أدب العُطاس والتثاؤب، حيث ذكر النبي ﷺ جملة من الآداب ينبغي التقيُّد بها عند العطاس والتثاؤب ومنها:

1 - أن يقول العاطس عقب عُطاسه: الحمد لله، ويقول له من سمعه: يرحمك الله فيجيبه العاطس بعد ذلك بقوله: يهديكم الله ويصلح بالكم.

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**)[1].

2 - وضع اليد أو المنديل على الفم وخفض الصوت: لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان إذا عطس، غطى وجهه بيده أو بثوبه، وخفض أو غضَّ بها صوته»[2].

3 - ردُّ التثاؤب ما استطاع: لما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (**إن الله يحب العُطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله، كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب: فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليردَّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**)[3].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمَّت، ص 1198، حديث رقم 6224.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في العطاس، ص 543، حديث رقم 5029.
- والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس، ص 443، حديث رقم 2745.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه، ص 1198، حديث رقم 6226.

4 - وضع اليد على الفم إذا غلبه التثاؤب: لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فإن الشيطان يدخل)**[1].

5 - لا يُشَمَّت العاطس إذا لم يحمد الله تعالى: لما رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عطس عند النبي ﷺ رجلان، فشمَّت أحدَهما ولم يشمِّت الآخر، فقال الذي لم يشمِّته: عطس فلان فشمَّته، وعطست أنا فلم تشمتني فقال: **(إن هذا حَمَدَ الله، وإنك لم تحمد الله)**[2].

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله، فلا تشمِّتوه)**[3].

6 - يكره الله التثاؤب ورَفْع الصوت به: روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **(إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم فحمد الله، فحق على كل مسلم سمعه أن يُشمِّته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليردَّه ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان)**[4].

هذه أهم القواعد والآداب التي بيّنها الإسلام في العُطاس والتثاؤب، فعلى المربين والوالدين أن يتعلموها ويُطبِّقوها، ويُعلِّموها أولادهم فيتأدبوا بها، فيردوا التثاؤب قدر المستطاع لأنه من الشيطان والله يكرهه، ويحمدوا الله عند العطاس

---

(1) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الزهد، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، ج 18، ص 322، حديث رقم 7416.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يشمَّت العاطس إذا لم يحمد الله، ص 1198، حديث رقم 6225.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الزهد، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، ج 18، ص 320، حديث رقم 7411.

(3) أخرجه، مسلم، شرح النووي، كتاب الزهد، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، ج 18، ص 320، حديث رقم 7413.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب، ص 1198، حديث رقم 6223.

لأن الله يحبه وهو دليل على العافية والصحة. قال ابن هُبَيرة: «فإذا عطس الإنسان استدل بذلك من نفسه على صحة بدنه، وجودة هضمه، واستقامة قوّته، فينبغي له أن يحمد الله»[1].

الفرع الخامس: أدب مراعاة حقوق الآخرين:

أ - حق الجار: ليس هناك دين كالإسلام حرص على حُسْن التعامل والتعايش مع الناس، وقد فهم المسلمون الأوائل حرْص الإسلام على عدم إيذاء الناس، وبخاصة المقربين كالجيران والأصحاب والأقارب[2].

فالمسلم يعترف بما للجار على جاره من حقوق وآداب يجب على كل من المُجاورين بذلها لجاره وتوفيرها له. وذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3].

فالجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو المُشرك فله حق الجار، وهو أدنى الجيران حقاً، وجار له حقان، وهو المسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وجار له ثلاثة حقوق، وهو المسلم القريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة.

ومعنى: والجار ذي القربى: أي الذي بينك وبينه قرابة، مؤمناً كان أو كافراً.

والصاحب بالجنب: قيل: الزوجة، وقيل: الرفيق في السفر، وقيل: الرفيق الصالح، وقيل: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر[4].

---

(1) ابن مفلح، عبد الله بن محمد، الآداب الشرعية والمنح المرعية، م. س، ج 1، ص 759.

(2) مبيض، محمد سعيد، آداب الطفل المسلم، مكتبة دار الفتح، قطر، ومؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ-2000م، ص 113.

(3) سورة النساء، الآية: 36.

(4) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، م. س، ج 2، ص 266، 269.
- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ-1981م، ج 1، ص 275.
- الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لا. د، لا. م، الطبعة الأولى، 1414هـ-1993م، ج 1، ص 476.

ولقول رسول الله ﷺ: **(ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)**[1]. وقوله ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره. . .)**[2].

ومن أهم الآداب التي أمر الإسلام أن نتأدب بها مع جيراننا:

1 - إكرامه بإسداء المعروف والخير إليه وإهدائه ولو شيئاً قليلاً: لما رَوى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: **(يا نساء المسلمات لا تَحقُرَنَّ جارة لجارتها ولو فِرسِن**[3] **شاة)**[4]. أي: ولو شيئاً قليلاً، ولقوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: **(يا أبا ذر إذا طبخْتَ مرقة فأكْثِر ماءها وتعاهَدْ جيرانك)**[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارَيْن، فإلى أيهما أهدي؟ قال: **(إلى أقربهما منك باباً)**[6].

2 - مساعدته وتقديم العون له، وعدم منعه من استعمال شيء له فيه منفعة: لِمَا

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب: البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، ج 16، ص 392، حديث رقم 6628.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الأدب، باب الوصاية بالجار، ص 1165، حديث رقم 6014.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ص 1165، حديث رقم 6018.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، ج 2، ص 208، حديث رقم 171.

(3) الفِرسِنْ: حافر الدابة (انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، م. س، ص 1576).

(4) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا تحقرن جارة لجارتها، ص 1165، حديث رقم 6017.

(5) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الأدب، البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، ج 16، ص 393، حديث رقم 6631.

(6) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حق الجوار في قرب الأبواب، ص 1165، حديث رقم 6020.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره)**[1].

3 - عدم إيذائه بقول أو فعل: لقوله ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره...)**[2]. ولقوله ﷺ: **(واللهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن)** قيل: من يا رسول الله؟ قال: **(الذي لا يأمن جارُه بوائقَه)**[3] [4].

وقد أجملَ أحد المؤلِّفين أدب التعامل مع الجيران وحقوقهم علينا بالأمور التالية:

«1 - إذا استعانك أعنته.

2 - وإذا استقرضك أقرضته.

3 - وإذا افتقر أعطيته.

4 - وإذا مرض عُدته.

5 - وإذا أصابه خير هنأته.

6 - وإذا أصابته مصيبة عزيته.

7 - وإذا مات اتّبعت جنازته.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره، ص 464، حديث رقم 2463.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ص 1183، حديث رقم 6136.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، ج 2، ص 209، حديث رقم 172.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ص 1165، حديث رقم 6016.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، ج 2، ص 207، حديث رقم 170. واللفظ للبخاري.

(4) الجزائري، أبو بكر، منهاج المسلم، م.س، ص 120، 121. بتصرف.

8 - لا تستطيل عليه في البنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه.

9 - لا تؤذه برائحة طعامك إلا أن تغرف له منه.

10 - إذا اشتريت فاكهة فاهدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده»[1].

فعلى المربين والوالدين أن يلتزموا آداب التعامل مع الجار، ويُنشئوا أولادهم على هذه الآداب لتسود المحبة والإلفة بين أبناء المجتمع، فيصبحوا متماسكين متعاونين على البر والتقوى.

ب - حق الأخوة:

«إن من أبرز صفات المسلم الصادق حُبَّه لإخوانه وأصدقائه حباً سامياً، مجرداً عن كل منفعة، بريئاً من أي غرض، نقياً من كل شائبة، إنه الحبُّ الأخويّ الصادق، الذي استمد صفاءه وشفافيته من مشكاة الوحي وهدي النبوة... ذلك أن الرابطة التي تربط المسلم بأخيه مهما كان جنسه ولونه ولغته، هي رابطة الإيمان بالله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]. وأخوة الإيمان أوثق روابط النفوس، وأمتن عرى القلوب، وأسمى صلات العقول والأرواح»[3].

قال الماروردي: «لعمري إن إخوان الصدق من أنفس الذخائر، وأفضل العُدد...

وقد قالت الحكماء: ربَّ صديق أودّ من شقيق»[4].

---

(1) مبيض، محمد سعيد، آداب الطفل المسلم، م. س، ص 114-115.
(2) سورة الحجرات، الآية: 10.
(3) الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة العاشرة، 1423هـ-2002م، ص 133.
(4) الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، تحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1423هـ-2002م، ص 226.

وقد جعل النبي ﷺ أخوة الإيمان من أقوى الروابط:

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً) ثم شبك بين أصابعه ﷺ [1].

والمؤمنون كالجسد الواحد: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[2].

وقد ذكر النبي ﷺ حقوقاً كثيرة للمسلم على أخيه المسلم منها:

1 - ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطِس)**[3]. وفي رواية أخرى لمسلم: **(حق المسلم على المسلم ست)** قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: **(إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)**[4].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ص 1166، حديث رقم 6026.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الأدب، البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج 16، ص 255، حديث رقم 6528.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص 1164، حديث رقم 6011.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الأدب، البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج 16، ص 256، حديث رقم 6529.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، ص 243، حديث رقم 1240.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم ردّ السلام، ج 14، ص 368، حديث رقم 5615.

(4) مسلم، شرح النووي، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، ج 14، ص 368، حديث رقم 5616.

2 - أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه: لما رواه الشيخان عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)[1].

3 - أن لا يؤذي أخاه المسلم بقول أو فعل ولا يظلمه ولا يخذله ولا يستبيح دمه وعرضه وماله: لِمَا روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا[2] ولا تباغضوا ولا تدابروا[3]، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا**) ويشير إلى صدره ثلاث مرات: (**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**)[4].

4 - أن يدعو لإخوانه بظهر الغيب: المسلم لا يفوته أن يدعو لأخيه بظهر الغيب ففي دعائه له بالخير تأكيد لمحبته إياه، وتوثيق لعروة الأُخُوّة النقية في قلبه. وقد وقر هذا المعنى في نفوس الصحابة ﷺ، فكانوا يطلبون الدعاء من إخوانهم لعلمهم أن هذه الدعوة هي أسرع الدعوات إجابة.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص 26، حديث رقم 13.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، ج 2، ص 206، حديث رقم 168.

(2) النجش: أن تزيد في البيع ليقع غيرك وليس من حاجتك. وفي الحديث (ولا تناجشوا). (انظر: الرازي، زين الدين محمد، مختار الصحاح، م.س، ص 647، مادة نجش).

(3) تدابروا: تقاطعوا. وفي الحديث (لا تدابروا). (انظر الرازي، زين الدين محمد، مختار الصحاح، م.س، ص 198، مادة دبر).

(4) أخرجه البخاري حتى قوله ﷺ: (وكونوا عباد الله إخواناً) كتاب الأدب، باب من ينهى عن التحاسد والتدابر، ص 1172، حديث رقم 6064.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الأدب: البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج 16، ص 336، حديث رقم 6487، واللفظ له.

روى البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: **(أسرع الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب)**[1].

وأخرج أيضاً عن صفوان بن عبد الله بن صفوان - وكانت تحته الدرداء بنت أبي الدرداء - قال: قدمت عليهم الشام، فوجدت أم الدرداء في البيت ولم أجد أبا الدرداء. قالت: أتريد الحج العام؟ قلت: نعم. قالت: فادعُ الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: **(إن دعوة المرء المسلم مستجابة لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال: آمين، ولك بمثل)** قال: فلقيت أبا الدرداء في السوق، فقال: مثل ذلك يؤثر عن النبي ﷺ [2].

فعلى المربين والوالدَيْن أن يرسِّخوا حُب الأُخوة في قلوب أبنائهم، ويعلّموهم حقوق الأُخوَّة، ليلتزموا بها ويتآلفوا من خلالها، فتجتمع قلوبهم وكلمتهم، ويكونوا أُمَةً واحدة متآلفين متضامنين متعاونين على البر والتقوى.

ج - **حق الكبير**: قلت سابقاً في أدب الاحترام والتوقير أن من واجب الوالدَيْن والمربين أن يزرعوا في نفوس الأولاد احترام وتوقير الكبير وصاحب الفضل منذ الصِّغر، لأنَّ هَدْيَ الإسلام يحضّ المسلمين على احترام الناسِ، لا على احتقارهم وازدرائهم، وبخاصة إن كانوا جديرين بالتقدير والاحترام، ، بل إنه ليعدّ احترام الكبير والعالم وصاحب الفضل من الأصول الأخلاقية الكبرى، التي تعطي للمسلم هويته في المجتمع الإسلامي، ومَن فقَدها انخلع من عضوية هذا المجتمع، وجُرِّد من شرف الانتساب لأمة الإسلام، كما قرر ذلك الرسول الكريم بقوله: **(ليس مِن أمَّتي مَن لم يجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا)**[3].

---

(1) أخرجه البخاري، الأدب المفرد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م، باب دعاء الأخ بظهر الغيب، ص 188، حديث رقم 623.

(2) أخرجه البخاري، الأدب المفرد، م. س، باب دعاء الأخ بظهر الغيب، ص 189، حديث رقم 625.

(3) سبق تخريجه، ص 203.

إن احترام الكبير في المجتمع وتقديمه على مَنْ هو أصغر منه، دليل رقي ذلك المجتمع، وآية فهم أعضائه لقواعد الأخلاق الإنسانية، وعلامة على سموّ نفوسهم وتهذيبها، ومن أجل ذلك كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يؤكّد هذا المعنى في نفوس المسلمين، وهو يرفع قواعد المجتمع الإسلامي، ويُرسي دعائم الأخلاق فيه.

ومن شواهد حرصه على هذا المعنى قوله لعبد الرحمٰن بن سهل إذ رآه يتكلم، وكان أصغر القوم في الوفد الماثل بين يدي الرسول ﷺ: (**كبِّر، كبِّر**)[1] فسكت عبد الرحمٰن وتكلَّمَ من هو أكبرُ منه[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يُوسِّعوا له فقال النبي ﷺ: (**ليس منّا مَن لم يرحم صغيرنا ويُوَقِّر كبيرنا**)[3]. وقد بيَّن النبي ﷺ: (**أن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم...**)[4]. فما علينا إلّا أن نُعرِّف أبناءنا حقَّ الكبير واحترامه وتقديره وتقديمه في المجتمع.

المطلب السادس
البناء العاطفي

تمهيد:

«تُشكِّل العاطفة مساحة واسعة في نفْس الطفل الناشئ، وهي تكوِّن نفسه وتبني شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن كان إنساناً سوياً في مستقبله وفي حياته كلها،

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر بالكلام، والسؤال، ص 1184، حديث رقم 6142، 6143.
(2) الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، م. س، ص 218-219.
(3) سبق تخريجه، ص 203.
(4) سبق تخريجه، ص 204.

وإن أخذها بغير ذلك، سواء بالزيادة أو النقصان، تشكلت لديه عُقد لا تُحمد عقباها، فالزيادة تجعلُه مُدللاً لا يقوم بتكاليف الحياة بجدٍّ ونشاط، ونقصانها يجعله إنساناً قاسياً عنيفاً على كل من حوله، لذلك فإن البناء العاطفي له أهمية خاصة في بناء نفس الطفل وتكوينه، وهذا البناء يلعب فيه الدور الأكبر الوالدان، إذ هما المصدر الأساسي لأشعة العاطفة التي تبني نفسه، وهما الرُّكن الرشيد الذي يأوي إليه الطفل لينعم بحرارة العاطفة، ونعمة الأُبُوّة والأمومة»[1]. وإنّ من أولى واجبات الوالدين أن يُشْعِروا أولادهم بالرحمة والحنان والعطف والحب، لينشأوا نشأة نفسية صحيحة، تغمر قلوبهم الثقة، ويشيع في نفوسهم الصفاء، ويغمر أخيلتهم التفاؤل، وتُبنى في قلوبهم العاطفة.

الفرع الأول: ملاعبة الأطفال وممازحتهم:

إن سيرة النبي ﷺ حافلة بمُلاعبة الأطفال وممازحتهم، لِما لهم من حاجة إلى ذلك، حيث جبلوا على حبِّ اللعب والمزاح بالكلام الصادق الذي لا كَذِبَ فيه ولا خِداع.

روى ابن ماجه عن يَعلَى بن مرة أنهم خرجوا مع النبي ﷺ إلى طعام دُعوا له: فإذا حسين يلعب في السِّكَّة قال: فتقدَّم النبي ﷺ أمام القوم، وبسط يديه فجعل الغلام يفرُّ ها هنا وها هنا، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يَديْه تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه فقبَّله وقال: **(حُسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط)**[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له

(1) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م.س، ص 179.
(2) أخرجه ابن ماجه، كتاب السنة، باب فضل الحسن والحسين ابني عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، ص 22، حديث رقم 144.

أبو عُمَيْر - قال - أحسبه فطيماً، وكان إذا جاء قال: **(يا أبا عمير، ما فعل النغير؟)**[1] نغير كان يلعب به[2].

وجد النبي ﷺ أبا عمير حزيناً على نغره الذي مات فمازحه ﷺ ليخفف عنه. قال ابن حجر رحمه الله عند شرحه للحديث: «وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي غير المميّز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه. وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح»[3].

وفيه جواز اللعب بالعصفور، وفيه جواز كنية الطفل، وقد استخلص منه الشافعي رحمه الله أكثر من سبعين مسألة.

بهذه المداعبة والملاعبة والمزاح كانت سيرة رسول الله ﷺ وتعامله مع الأطفال، وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة، بعيداً عن الجفاء والقسوة، فما علينا إلاّ أن نتأسى برسول الله ﷺ فَنُشْعِر أطفالنا بالعاطفة والحنان واللين والمزاح بين الحين والآخر، ليشعروا بالفرح والسعادة، خاصة وأن الأطفال جُبِلوا وفُطِروا على حبهم اللعب.

الفرع الثاني: تقبيلهم والرحمة بهم:

«إن للقُبلة دوراً فعّالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دوراً كبيراً

---

(1) النغير: تصغير النُّغَر وهي طير كالعصافير حمر المناقير وبتصغيره جاء الحديث (يا أبا عمير ما فعل النغير). (انظر: الرازي، زين الدين محمد، مختار الصحاح، م.س، ص 670، مادة نغر).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ص 1194، حديث رقم 6203.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام، ج 14، ص 354، حديث رقم 5587.

(3) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م.س، ج 10، ص 600.

في تسكين توازنه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهي دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ، وهي برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي يُبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هي أولاً وأخيراً السُّنة الثابتة عن المصطفى ﷺ مع الأطفال»[1] والقُبلة تُنتج الرحمة، والرحمة خُلق إسلامي أصيل، كان من أبرز خلائق الرسول الكريم ﷺ وشمائله الرفيعة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»[2].

وتتسع رحمة الرسول الكريم بالبراعم المسلمة، فيقبلهم ويغمرهم بعطفه وحنانه. روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **(من لا يَرحم لا يُرحم)**[3].

والرسول ﷺ المربي العظيم، يحاول دوماً، وهو يصوغ النفوس أن يفجّر فيها ينابيع الرحمة والحب، والحنان والشفقة. فعَن عائشة رضي الله عنها قالت: قدِم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقال: أتقبِّلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم، فقالوا: لكنَّا، والله ما نُقبِّل، فقال رسول الله ﷺ: **(أوَأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة)**[4].

---

(1) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م.س، ص 179.

(2) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، وفضل ذلك، ج 15، ص 75، حديث رقم 5980.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص 1162، حديث رقم 5997.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، وفضل ذلك، ج 15، ص 76، حديث رقم 5982.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص 1162، حديث رقم 5998.

- مسلم، شرح النووي، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، وفضل ذلك، ج 15، ص 75، حديث رقم 5981، واللفظ له.

ومن صور رحمة الرسول ﷺ بالأطفال، ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوَّز في صلاتي، مما أعلم مِن شدة وَجْدِ أمه مِن بكائه**)[1].

وعن أبي قُتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يصلي، وهو حامل أمامة بنت زينب، بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملَها»[2].

إن المسلم الصادق لا يملك إزاء هذا الهدي النبوي العالي أن يكون متجهّماً لأولاده، جافاً في معاملتهم، فظاً في مخاطبتهم، حتى ولو كان في طبعه جفاء، وفي خلقه جفاف، ذلك أن هذا الدين بما جاء به من هدي منير، يرقق القلب، ويفجر ينابيع الحنان.

فما على الآباء والأمهات إلّا أن يأخذوا بهدي النبي ﷺ فيرحموا أطفالهم ويشفقوا عليهم ويشعروهم أنهم قطعة من قلوبهم يمشون على الأرض.

الفرع الثالث: المسح على رؤوسهم:

كان رسول الله ﷺ يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم فيشعرون بلذّة الرحمة والحنان، والحب والعطف، الأمر الذي يُشْعِر الطفل بوجوده، وحب الكبار له، واهتمامهم به.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الإيجاز في الصلاة وإكمالها، ص 149، حديث رقم 709.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج 4، ص 410، حديث رقم1056.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، ص 118، حديث رقم 516.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، ج 5، ص 34، حديث رقم 1212.

عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم[1].

ويضيف رسول الله ﷺ إلى مسح رأس الطفل، القيام بمسح خدّي الطفل بيديه الشريفتَيْن وما ذلك إلا اهتماماً به وإدخالاً للسرور إلى قلبه. روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: (صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى[2]، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله وِلْدان، فجعل يمسح خدَّيْ أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدَّيَّ، قال: فوجدت لِيَده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها مِن جُؤنَة عطار)[3] [4].

مِن هذا نستدلُّ على عطف الرسول ﷺ، ورحمته بالأطفال وعدله في معاملتهم، حيث مسح على خدودهم جميعاً، ولم يفرق بينهم، وهذا من بدائع ملاحظته ﷺ في تعامله مع الأطفال[5].

فعلى الوالدَيْن والمربين أن يقفوا مع أفعال النبي ﷺ ومعاملته وسيرته وهديه مع الأطفال وقفات تأمّل وتفكّر، ويستخلصوا منها الطرق التربوية الكفيلة بصون الطفل وحفظه في فكره وسلوكه وأخلاقه وعقيدته وتصرفاته.

---

(1) أخرجه ابن حبان، محمد بن أحمد، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ، ج2، ص 206.

(2) صلاة الأولى: قال النووي يعني الظهر (انظر: النووي، محي الدين يحيى، شرح صحيح مسلم، ج 15، ص 84).

(3) الجُونة، بالضم: سَفَطٌ مغشّى بجلد، ظرف لطيب العطّار. (انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، م.س، ص 1530، مادة جأن). وذكرها الجوهري بالواو الجُونة وهي جُونة العطار. (انظر الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، م.س، ج 5، ص 2096، مادة جون).

(4) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين لمسه والتبرك بمسحه، ج 15، ص 84، حديث رقم 6006.

(5) سويد، محمد نور، منهج التربية للطفل، م.س، ص 184-185.

الفرع الرابع: الرعاية الخاصة بالبنات:

يضيق بعض الناس ذرعاً بالبنات، ويتمنَّون لو أنّ الله ما رزقهم سوى الصبيان، ولم يدرِ هؤلاء الثواب العظيم الذي أعدَّه الله للوالد الذي رُزِق البنات، فصبر عليهنّ وأحسن تربيتهنّ، وفاضت نفسه بالحنان عليهنّ، ولو علموا هذا الثواب الذي ينتظر أبا البنات الكافل لهنَّ والرحيم بهنَّ، لغبطوه عليه وتمنّوا لأنفسهم مثله.

ففيما يخص البنات، فقد صحح القرآن الكريم النظرة والتصور اللَّذين كانا سائِدين في المجتمع الجاهلي، فهي مخلوقة خلقها الله تعالى مُكمِّلة للرجل، لها حقوق وعليها واجبات. قال تعالى منكِراً على الجاهلين كراهتهم للبنات: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1].

بعد أن صحّح القرآن الكريم النظرة والتصوُّر تجاه البنات، جاء البيان من النبي ﷺ لعظيم الأجر الذي أُعِد لمن صبر عليهنَّ وأطعمهنَّ وكساهنّ. فعن عُقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من كان له ثلاث بنات فصبر عليهنّ وأطعمهنَّ وسقاهنّ وكساهنّ من جِدته كنَّ له حجاباً من النار يوم القيامة)**[2].

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ عالَ جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو)**[3] وضمَّ أصابعه.

---

(1) سورة النحل، الآيتان: 58-59.

(2) أخرجه ابن ماجة، كتاب الأدب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات، ص 526، حديث رقم 3669.
- وأحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر، ج 6، ص 139، حديث رقم 17408.

(3) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الأدب: البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، ج 16، ص 396، حديث رقم 6636.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلَت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة، فأعطيتُها إياها، فقَسمتها بين ابنتَيْها، ولم تأكلْ منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ عليها فأخبرَتْه فقال: (**مَن ابتُلِيَ من هذه البنات بشيء كُنَّ له ستراً من النار**)[1].

وهكذا نجد أنّ الإسلام أولى تربية البنات أهمية خاصة لأنها عصب المجتمع، ولأنها أمُّ النشء في المستقبل، وإذا صلحت الأم، فانتظر من ابنها أن يكون رجلاً بكل معنى الكلمة، فإذا استقرأنا تاريخ كثير من العلماء وجدنا أن السرّ في عظمة الكثيرين منهم ما بثّته الأمُّ من مبادئ صالحة قويمة في نفوسهم وسلوكهم. فحريٌّ بمن كانت أمه صالحة أن يكون صالحاً فاضلاً، فكل إناء بما فيه ينضح. وبالتالي فحريٌّ لمن تطرق سمعه لأول مرة تلك الأغاني الخليعة والترنيمات الغثة التي يداعب بها أمهات هذا العصر أبناءهنّ أن ينشأ ماجناً خليعاً فاتر الهمة ضعيف النفس منهزماً، فاقد الشخصية.

فصلاح الأمّ سبب لصلاح المنزل، وبصلاح المنزل يصلح المجتمع، لذلك كان الأجر والثواب كبيراً في الصبر على تربية البنات وتهذيبهنّ.

وبعد هذا فأيُّ أبٍ يتأفّف من تربية البنات والإنفاق عليهنّ بعد أن سمع ما أعدّه الله له من أجر ونعيم.

الفرع الخامس: الرعاية الخاصة باليتامى:

إن كفالة اليتيم وتربيته لا تقل شأناً وثواباً عن تربية البنات. وقد عرَّف النبي ﷺ مرحلة اليتم بأنها دون سن الاحتلام، فإذا حصل الاحتلام انتفت عن الطفل هذه

(1) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ص 276، حديث رقم 1418.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الأدب، البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، ج 16، ص 396، حديث رقم 6639.

الصفة. روى أبو داود عن علي ﷺ قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: (**لا يُتم بعد احتلام**)[1].

فالإسلام حضَّ على رعاية اليتيم والعناية به، لأنه فَقَدَ أحدَ الأركان الأساسية للتلقي التربوي، فأصبح ضعيفاً يحتاج إلى عناية خاصة ورعاية فائقة لكي يبقى محافِظاً على مبادئ الإسلام وقيمه وآدابه ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[2]. ولأهمية العناية بهذا الصنف الضعيف من الناس كتب الله لمن قام بكفالته والعناية به أجراً عظيماً. أخرج البخاري عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: (**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**)[3] وأشار بالسّبّابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئاً.

وقد بيَّن لنا النبي ﷺ أنّ مَسْح رأس اليتيم هو الدواء والعلاج النّافع لقسوة القلب التي سيطرت على قلوب الكثير منّا. عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً شكا إلى رسول الله قسوة قلبه فقال له: (**إن أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**)[4].

فهذان الصنفان من الأطفال أشدُّ حاجة من غيرهما إلى البناء العاطفي من رحمة ورأفة ورعاية وعناية، وذلك لما يتمتعان من شعور بالضعف وفقدان لعناصر القوة ولأنهما عند كثير من الناس أقل شأناً من غيرهما قد هضمت المجتمعات الجاهلية حقوقهما قديماً وحديثاً... وحيثما ابتعدت أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات أو أُسْرة من الأسر عن منهج الله وشريعته تطبيقاً وعملاً... كان الظلم والحيف لهذَيْن الضعيفَيْن، البنت واليتيم... لهذا جاء التنبيه النبوي بشأن هذَيْن الضعيفين.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**اللهم إني أحَرِّج عليكم حق**

---

(1) سبق تخريجه، ص 38.
(2) سورة الضحى، الآية: 9.
(3) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، فضل من يعول يتيماً، ص 1163، حديث رقم 6005.
(4) أخرجه أحمد، مسند أبو هريرة، ج 3، ص 82، حديث رقم 7579.

الضعيفَيْن: اليتيم والمرأة)[1] قال النووي رحمه الله: «ومعنى: «أُحَرِّج»: أُلْحِق الحَرَج وهو الإثم بمَن ضيَّع حقَّهما وأُحذِّر من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجر عنه زجراً أكيداً»[2].

فما أحْوَج المسلمين أن يأخذوا بهدْيِ الإسلام في تربية اليتامى ورعايتهم، ليحقّقوا البناء العاطفي في الأطفال بالقول والفعل، فيزرعوا فيهم الرحمة والشّفَقة والحنان، ويقتدوا بهدْيِ خيرِ الأنام في عطفه وشفقته ورحمته ورأفته بالأطفال بشكل عام، واليتيم بشكل خاص.

المطلب السابع
البناء الجسمي

الفرع الأول: التوجيه الصحي:

اهتم الإسلام بصحة الإنسان وحرص في توجيهاته الكثيرة على المداواة والمسارعة إليها، لأنها من العلاجات الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان فقد وجب المحافظة على هذه الأمانة وعدم إهلاكها قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[3]. والمداواة هي من الأسباب المشروعة ومن قدر الله الذي يمحو قدر الله الذي حل بالإنسان وهو المرض.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**لكلّ داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء بَرِئ بإذن الله** عز وجل)[4].

---

(1) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب حق اليتيم، ص 527، حديث رقم 3678.
- وأحمد، مسند أبو هريرة، ج 3، ص 440، حديث رقم 9672.

(2) النووي، محيي الدين يحيى، رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العشرون، 1412هـ-1991م، ص 160.

(3) سورة البقرة، الآية: 195.

(4) أخرجه مسلم، شرح النووي، كتاب الطب، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ج14، ص 412، حديث رقم 5705.

وعن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال: **(نعم يا عباد الله تداوَوا فإن الله ﷻ لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو قال دواء، إلا داء واحداً**، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: **الهرم)**[1].

فهذه التوجيهات الصحية للمسارعة في المداواة هي للصغار والكبار، فالنبي ﷺ كان يعتني بمداواة الصغار فقد كان ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين. ويقول: **(إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة)**[2] [3].

«وقد وضع النبي ﷺ قاعدة عامة للأمة جميعاً، كبيرها وصغيرها، وهي عدم ورود الإنسان المريض الذي يحمل مرضاً معدياً إلى تجمع الناس، وأن لا يقوم بزيارة أحد، وذلك لتجنب إصابة المسلمين.

وهناك أمراض معدية في مرحلة الطفولة يُحذَّر فيها الأبوان من أن يأخذا طفلهما في زيارة الأرحام والأصدقاء، كذلك بالعكس لا يأخذ الوالدان طفلهما إلى زيارة أحد في بيته طفل مصاب بمرض معدٍ حتى يشفى، وفي هذا أنفس القواعد الصحية النبوية. ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(لا تُورِدُوا المُمْرِض على المصحِّ)**»[4] [5].

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، ص 339، حديث رقم 2038.

(2) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، الباب العاشر، دون ذكر عنوان له، ص 646، حديث رقم 3371.

(3) قال النووي ﷺ قال العلماء: "الهامّة بتشديد الميم: هي كل ذات لم يقتل كالحية وغيرها والجمع الهوام، وأما العين اللاَّمَّة بتشديد الميم وهي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء.
(انظر النووي، محيي الدين يحيى، الأذكار، م. س، ص 195).

(4) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى، ص 1130، حديث رقم 5774.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الطب، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، ولا نوء ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح، ج 14، ص 433، حديث رقم 5753.

(5) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م.س، ص 248.

هذا الإرشاد عام للوالدَيْن وغيرهم أن يبعدوا أطفالهم عن أماكن وجود المرض المعدي، بل على الوالدَيْن أن يبعدا طفلهما المريض عن بقية إخوته حتى لا ينتقل إليهم المرض.

وبذلك يتبين لنا أن النبي ﷺ كان حريصاً على توجيه الصحابة إلى الأخذ بجميع الأسباب التي تضمن لهم صحتهم وتحفظهم من أي عارض قد يصيبهم.

الفرع الثاني: تعليمه السباحة والرماية وركوب الخيل:

الإسلام دين الفطرة، فالله ﷻ فطر الناس على أمور كثيرة وجعل الإسلام متمشياً ومقراً لِمَا يصدر عن الفِطَر السليمة. فاللعب طبيعة فطرية في الطفل جعلها الله غريزة في نفسه لينمو جسمه نمواً طبيعياً بشكل قوي وسليم.

لذلك حضَّ الإسلام على تعليم الأولاد رياضات معينة لأن لها دوراً خاصاً ومهماً في حياة الطفل الحالية والمستقبلية لِما تحدثه من ثقة في نفسه وقوة في شخصيته.

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: (**ارموا واركبوا، وأن ترموا أحبُّ إليَّ من أن تركبوا. وكل ما يلهو به المسلم باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فإنهن من الحق**)[1].

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام أن: (علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية)[2].

وروى مسلم عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر

---

(1) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله، ص 406، حديث رقم 2811.

- والترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، ص 285، حديث رقم 1637، قال الألباني (ضعيف).

(2) ذكره المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1972م، ج 4، ص 327.

يقول: **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)**[1].

وروى البخاري عن سَلَمة بن الأكوع ﷺ قال: مرَّ النبي ﷺ على نفر من أسْلَم ينتضلون[2] فقال النبي ﷺ: **(ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً)**[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم دخل عمر، فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها فقال: **(دعهم يا عمر)**[4].

حتى أنه ﷺ مارس السِّباق بنفسه لنقتدي به، ونقوي أجسادنا من خلال ممارستنا لهذه الألعاب الرياضية والتدريبات الجسدية.

روى أبو داود عن عائشة ﷺ: (أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجليَّ فلما حمَلْتُ اللحم سابقته فسبقني فقال: **هذه بتلك السبقة**)[5]. ومعنى: حملت اللحم: أي سَمَنَت وكَبُرَ جسمها.

«فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية والتدريبات الجهادية من مصارعة وعَدْوٍ وسباحة ورماية وفروسية، . . . من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة، وأن تتربى أفراداً وجماعات على معاني القوة والفتوّة والجهاد. تنفيذاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، ج 13، ص 66، حديث رقم 4923.

(2) ناضله أي راماه وانتضل القوم وتناضلوا رَمَوا للسبق (انظر، الرازي، زين الدين محمد، مختار الصحاح، م.س، ص 665، مادة نضل).

(3) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب التحريض على الرمي، ص 557، حديث رقم 2899.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسِّير، باب اللهو بالحراب ونحوها، ص 558، حديث رقم 2901.

(5) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في السَّبق على الرجل، ص 292، حديث رقم 2578.

اَسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. . .**)[2].

وإذا كان الولد هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الجسمي، والتكوين الجهادي والتربية الرياضية. . . فهل معنى هذا أن ينطلق الولد في هذا المضمار بلا قيود ولا حدود أم أن يتقيد بمنهج يلتزم حدوده، ويمشي على منواله؟

في الحقيقة وواقع الأمر أن الارتباط الرياضي للولد لا يعطي الثمرة المرجوة ولا يفي بالغاية المطلوبة، إلا أن يكون على وفق المنهج الذي وضعه الإسلام»[3].

فما على الوالدين والمربين إلا أن يربّوا أولادهم على التقيُّد بشرع الله تعالى، ويعلموهم هذه الألعاب الرياضية، مع حرصهم على الالتزام بالضوابط الشرعية.

المطلب الثامن
البناء الثقافي

تمهيد:

الإسلام دين العلم والعقل، ولا يوجد في التاريخ دين مثل دين الإسلام حرص على تعليم أبنائه، فطبيعة الإسلام تفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة مُتعلِّمة ترتفع فيها نسبة المثقفين، وتهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين. وإن المسلمين لا يصِلُون إلى تحقيق أهدافهم العلمية الرفيعة إلا بحرصهم البالغ على التعلُّم والتعليم.

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 60.

(2) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ج 16، ص 431، حديث رقم 6716.

(3) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، م.س، ج 2، ص 833.

«إن حقائق هذا الدين - من أصول وفروع - ليست طقوساً تُنْقَل بالوراثة أو تعاويذ تشيع بالإيماء، وتُنشر بالإيهام. كلا. إنها حقائق تستخرج من كتاب حكيم، ومن سنة واعية! وسبيل استخراجها لا يتوقف على القراءة المجردة، بل لا بدَّ من أمة تتوفر فيها الأفهام الذكية، والأساليب العالية، والآداب الكريمة. . . . إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان. ولن يجد هذا الدين مستقراً له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة والألباب الحصيفة.

قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] ويقول مصوراً أحاديث أهل جهنم: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

إن أول ما نزل من آيات القرآن قول الله لنبيه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[3].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4].

ولا غرو، فأنَّى للعقول الكليلة والمعارف الضيقة أن تُدرِك جلال الكبير المتعال؟ وأنَّى لمن يعيش على هامش الحياة - بجهله وظلمته - أن يعرف الحق عن رب العالمين، أو يلمح طرفاً من صفاته العظمى وآياته الكبرى»[5].

وهكذا نجد أن الإسلام حضَّ على العلم ورغَّب فيه وفضَّل أهله على غيرهم، روى الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكِر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: (**فضل العالم على العابد كفضلي على**

(1) سورة إبراهيم، الآية: 52.
(2) سورة الملك، الآية: 10.
(3) سورة العلق، الآيات: 1-5.
(4) سورة آل عمران، الآية: 18.
(5) الغزالي، محمد، خُلُق المسلم، دار القلم، الطبعة الثامنة، 1409هـ-1989م، ص 226-228.

أدناكم. . .)[1] ويبقى أن نعرف، أي علم رغَّب فيه؟ وأي مدرسة أرشد الانتساب إليها؟

الفرع الأول: إرشاده إلى العلم النافع:

روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قوله: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)[2] والعلم سيف ذو حدين، حد نافع وحد ضار، والطفل ورقة بيضاء وإناء فارغ، فأي نوع منهما لُقِّنه امتلأ عقله وفكره منه. «وفي عملية البناء العلمي والفكري لا بدَّ من وضوح الأركان والأسس التي يسير عليها الوالدان لكي يضمنا لطفلهما البناء السليم والعلم الغزير والأفكار الصحيحة، لأن هذا البناء يُعدّ من أهم ما يكوِّن الطفل لأنه بناء العقل، فإذا كان سليماً كان الخير والبُشْر للوالدين، وإذا كان غير ذلك فقد أنجبا عدواً لهما يحاربهما من داخلهما، ويودي بهما إلى هاوية جهنم والعياذ بالله»[3].

«على الأب أن لا يسمح لولده بقراءة كل قصة أو كتاب يضع يده عليه، فما أكثر الغث وما أقل الثمين، فإذا دخل الأب إلى بيته فيجب أن يكون دقيق الملاحظة يفتش في كتب الأولاد ومكتباتهم، فربما غفل مرة فوجدها الابن فرصة لجلب كتاب ومجلة مخالفة للأدب، وما أكثر هذه الأشياء التي تضم بين دفّتيْها السموم والهموم، وعلى الأخص بدأت تغزو البلاد الإسلامية المجلات العارية والكتب الداعرة التي تدمر النشء وتُفتّته، فعلى الوالد أن يكون حريصاً كل الحرص فربما جلب الابن شيئاً من ذلك، وبدأ يرى الصور العارية والمناظر

(1) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة، ص 434، حديث رقم 2685.

(2) أخرجه ابن ماجه، كتاب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ص 34، حديث رقم 224.

(3) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م.س، ص 219.

الفاحشة فيستهين بالذنب ويتشوق إليه، فإذا غفل الأب عن ذلك كان شريكاً في الجريمة. . . »[1].

ولا شك أن أنفع العلم في الدنيا والآخرة علم القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، فهما مصدر إشعاع ينيران العقل ويقويانه ولهما أهمية كبرى في تكوين عقلية الطفل وتفكيره، وكان الصحابة والسلف ﷺ أول ما يلقنونه للطفل القرآن الكريم والسنة النبوية لأنهما الركنان الأساسيان في بناء الطفل علمياً.

فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى تعلّم العلم النافع الذي يقودهم إلى طاعة الله، والسعادة في الدنيا والآخرة.

الفرع الثاني: اختيار المُدَرّس الصالح والمَدْرسة الصالحة:

«كان الصحابة والسلف حريصين كل الحرص على اختيار المُدَرِّس الصالح لأطفالهم وكانوا يعنون به عناية فائقة، لأنه هو المرآة التي يراها الطفل فتنطبع في نفسه وعقله، وهو مصدر التلقي للطفل. ومن شدة اهتمامهم به أنهم ينصحون أبناءهم في أخذ الأدب قبل العلم»[2]. فالولد يأخذ من مؤدبه من الأخلاق والشمائل والآداب والعادات أكثر ممّا يأخذ من والده. ولا يكفي في زماننا اختيار المُدَرِّس الصالح لوحده بل لا بدَّ من اختيار المدرسة المناسبة والصالحة في جميع جوانبها «من حيث طلابها وإدارتها ومدرسوها ومناهجها، والتي تُعنى باستقامة طلابها وتهتم بأخلاقهم وشمائلهم، قولاً وعملاً، لأن الأغلب أن الولد إنما يختار أصدقاءه من المدرسة من أبناء صفه الذين يشاكلونه في المزاج والطبيعة، وعلى الوالد أن يقوم بمتابعة الأولاد في المدارس باستمرار، حتى يتأكد بنفسه من صلاح الولد واستقامته، ولئلا يُفاجأ في يوم من الأيام بأن ولده

(1) القطان، أحمد، واجبات الآباء نحو الأبناء، مكتبة السندس، الطبعة الخامسة، 1409هـ-1989م، ص 74.

(2) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م. س، ص 224.

على خلاف ما كان يتوقعه ويؤمله، ولأجل أن يدرك الولد بأن والده وراءه يسأل عنه ويتابعه»[1].

فعلى الوالدين أن يعتنيا باختيار المُدرِّس الصالح والمدرسة الصالحة لأولادهم حتى ينشأوا على الصلاح والاستقامة، خاصة في هذه الأيام حيث ركَّز أعداء الإسلام على إفساد أطفالنا، وبث السموم إلى فلذات أكبادنا عن طريق النشاط التعليمي والثقافي بإنشاء المدارس العصرية، واختيار المعلم والمؤدب الفاسق، لإبعاد أبنائنا عن منهج الله وشرعه وأخلاقه.

وقد أصبح نهجهم واضحاً لدى القاصي والداني ليس بحاجة إلى دليل ولا برهان، فاختيار المُدرِّس الصالح والمدرسة الصالحة وتعليم أولادنا أحكام الدين وآدابه، أصبح عند أعداء الإسلام من الكبائر والجرائم والإرهاب. وللأسف أن فكرهم هذا لاقى رواجاً عند ضعاف الدين والإيمان من أبناء جلدتنا، فاستجابوا لهم وساعدوهم لنشر أفكارهم الهدَّامة وسمومهم المميتة.

يقول المستشرق الاستعماري جيب: «لقد استطاع النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين - ولو من غير وعي منهم - أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حدٍّ بعيد... ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار. فالواقع أن الإسلام كعقيدة، لم يفتقد إلا قليلاً من أهميته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانه»[2].

ويقول القسيس صموئيل زويمر: «والتعليم المدرسي والتربية الأخلاقية الغربية قد أسفرا عن نتائج جمَّة وأثمرا ثمرات نافعة في الأطفال والمراهقين على

(1) الحمد، محمد بن إبراهيم، التقصير في تربية الأولاد، دار طيبة، الرياض، لا. ط، لا ت، ص 83-84.

(2) البوطي، محمد سعيد رمضان، تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث، م. س، ص 27.

السواء، لقد استطعت أن أجمع التلاميذ المسلمين مرة وأضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية، ثمّ حولت عليها نوراً قوياً وأقنعتهم بذلك أنّ الأمر بالصيام لشهر رمضان ليس آتياً من عند الله، لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد» ويقول أيضاً مخاطباً مجموعة من المبشرين المنتشرين في البلاد الإسلامية: «إنكم أعددتم نَشْأً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، وإنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات»[1].

هذا هو تخطيطهم منذ أمد بعيد، وللأسف أنهم حققوا ما يريدون، فما زال كثير من المسلمين يرسلون أبناءهم إلى المدارس الإرسالية التبشيرية ويُفَضّلونها على المدارس الإسلامية، متأثرين بما بثّه ونفثه في آذانهم أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين ولا دينيين. فما على الوالدين إلا أن يَعيا خطورة هذا الأمر ويتّقيا الله في فلذات أكبادهم ويختارا لهم المُدرِّس الصالح والمدرسة الصالحة التي تجعلهم رجال الغد ديناً وإيماناً وعلماً وعملاً.

الفرع الثالث: اختيار الرفقة الواعية والصالحة:

عندما يُحسن الوالدان اختيار المدرسة الصالحة لأولادهم، يوفروا لهم بذلك انتقاء الرفقة الواعية والصالحة التي تذكرهم بالله وتزكّي نفوسهم. فالصُّحبة تلعب دوراً كبيراً في التأثير على نفس الطفل، وهي مرآة الصديق لصديقه وهي أشبه بعملية التلقيح بين الصديقَيْن فيتعلمان من بعضهما.

فإذا أحسن الأهل اختيار الصديق الصالح لطفلهم، وراقبوا سلوك هذه المجموعة من الأصدقاء ورعوها برعايتهم واجتمع الآباء لمدارسة أحوال

(1) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م. س، ص 226.

أطفالهم، واجتمعت الأمهات في مدارسة سلوك أطفالهنّ، فإن هذا سيأتي بالخير كله - إن شاء الله -.

فكما أن الوالدين مطالبان بتأمين الطعام الحلال للطفل لينشأ جسمه بالحلال، وينبت لحمه بعيداً عن السحت، فإنهما مطالبان بتأمين الصديق الصالح لطفلهما، يحادثه ويسامره ويلعب معه، فالمرء يُعرف بصديقه ورفيقه كما قال ﷺ: **(الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم مَنْ يُخالل)**[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي)**[2].

فالحذر الحذر - أخي المسلم - من أطفال السوء أن يلتقطوا طفلك فيهْوُوا به إلى مهاوي الرذيلة وارتكاب الجرائم وأنت لاهٍ في دنياك ومُنهمك بها. والأم لاهية في زيارات صديقاتها وتنفيذ رغباتها دون الاهتمام بولدها.

أَمَا آن للأهل أن يستيقظوا من غفلتهم ليرشدوا أطفالهم وينقذوهم من الأعداء الذين يعملون جاهدين لسرقة أطفالهم من بين أحضانهم، وذلك بالاتحادات الفاسدة والنوادي القذرة والإعلام الفاسد الموجَّه.

الفرع الرابع: اقتناء المكتبة المنزلية الصالحة والهادفة:

إنَّ مرحلة الطفولة من أهم وأفضل مراحل العمر لتحصيل العلم خاصة وأن الولد في هذه المرحلة يكون صافي الذهن والفكر، ويملك الوقت الذي يساعده على تحصيل العلم لأنه غير مُتحمِّل للمسؤولية. ولأن الإسلام دين يعرف للوقت قيمة ويؤكد الحكمة القائلة (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) فواجب الوالدَيْن

---

(1) سبق تخريجه، ص 125.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب مَنْ يؤمر أن يجالس، ص 526، حديث رقم 4832.

- والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، ص 392، حديث رقم 2395.

أن يرشدا أولادهما إلى استغلال واغتنام الوقت في ما يعود عليهم بالنفع، ومن أهم الواجبات الملقاة على الوالدين تجاه أبنائهما أن يهيّئا لهم الواجب التعليمي، وذلك بتأمين الوسائل الثقافية النافعة والهادفة. ولكي يتعلم الطفل القرآن والحديث والعلوم النافعة، لا بدَّ من احتواء البيت على مكتبة إسلامية يشبّ عليها وينهل منها، فتكون حائلاً دون تسرب الكتب الهازلة، والصحف والمجلات الماجنة، والأفكار الهدَّامة، فكما أن صيدلية المنزل ضرورية لدواء الأجسام فالمكتبة الإسلامية ضرورية لإصلاح العقول والأفهام.

المطلب التاسع
البناء عن طريق التأديب

تمهيد:

سبق أن ذكرت الأساليب التربوية النبوية للطفل لبنائه البناء السليم وتقويمه التقويم الصحيح، وذلك عن طريق البناء الإيماني والعبادي والأخلاقي والسلوكي والاجتماعي والعاطفي والجسمي والصحي والثقافي. وأنَّ على المربين أن يحققوا هذا التكامل الإسلامي في التربية لبناء شخصية الطفل بناءً صحيحاً، ليكون مشعل نور وهداية في المجتمع. فإذا قام المربون بواجبهم واستنفذوا جميع السبل التي ذكرناها فلم تأتِ ثمارها وتحقق هدفها عند الأطفال. فهذا يعني أن الطفل بحاجة إلى علاج آخر مختلف هو التأديب لكي يحس ويشعر أن الأمر جدٌّ لا هزل فيه، فيذوق ألم التأديب فيعرف قيمة الحنان والعاطفة التي تدفقت عليه من والديه قبل التأديب، ويشعر بضرورة الانقياد والطاعة وحسن الخلق والأدب والسيرة. . . ولكن متى وكيف يُؤَدِّب الأب ابنه؟ هذا ما سنتعرف إليه في المطالب التالية:

الفرع الأول: التأديب ضرورة تربوية:

من المؤكد أنّ المعاملة بالرفق واللين هي الأصل، بل هي الأنجح والأفضل

للوصول بالطفل إلى الطريق القويم والمنهج السليم، وهذه المعاملة هي منهج النبي ﷺ مع الأطفال، فقد كان كثير الاهتمام بهم، رحيماً بهم، يلاطفهم ويمازحهم. فإذا لم ينفع الرفق واللين معهم عندها يلجأ المربي إلى التأديب ويصبح ضرورة مؤكدة، لقوله ﷺ: **(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرّقوا بينهم في المضاجع)**[1].

وقد نفَّذ النبي ﷺ بعض أنواع التأديب من ذلك الهجر. فقد روى البخاري أن كعب بن مالك حين تخلَّف عن النبي ﷺ في تبوك قال: (نهى النبي ﷺ المسلمين عن كلامنا، وذكر خمسين ليلة)[2] وقد استمر الهجر حتى أنزل الله ﷻ توبتهم في القرآن الكريم.

وينبغي على المربي التدرج في معالجة الأطفال بالتأديب، فيبدأ بالعقوبة الأخف لعلها تُصلِحه، فإن لم يتحقق الهدف المنشود انتقل إلى العقوبة الأشد وهكذا، فعلى المربي أن يكون حكيماً في استعمال هذه الوسائل فيختار الأصلح منها، ولا يعدم الوسيلة المُجدية في زجر الولد وردعه...

«ولا شك أن هذه الوسائل تتفاوت بتفاوت الأولاد ذكاءً وثقافةً وحساسيةً ومزاجاً... فمنهم من تكفيه الإشارة البعيدة ويرتجف لها قلبه، ويهتز من التلميح بها وجدانه، ومنهم من لا يردعه إلا النظرة العابسة والغضب الجاهر الصريح، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من يُصلِحه الهجر، ومنهم من ينفعه التأنيب والتوبيخ، ومنهم بعد ذلك فريق لا بدَّ أن يحسّ لدغ العقوبة على جسمه لكي يستقيم.

والإسلام - كما مرَّ - شرع هذه العقوبات بأسرها، وأرشد المربين إليها. وهنا تظهر البراعة في استخدامها، واختيار الصالح منها بقدر ما يحقق مصلحة الولد وعلى الله قصد السبيل»[3].

---

(1) سبق تخريجه، ص 13.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الهجران لمن عصى، ص 1174، بعد حديث رقم 6077.

(3) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، م.س، ج 2، ص 732.

الفرع الثاني: التدرج في التأديب.

أ - الوعظ والإرشاد: ينبغي على المربي أن يبدأ أولاً بالموعظة، ولكي تكون الموعظة مسموعة، لا بدَّ أن يتصف صاحبها بأفضل الصفات وأكمل الأخلاق. لأن الولد يكتسب أفضل الصفات وأكمل الأخلاق ويترقى نحو الفضائل والمكرمات، باقتدائه وتشبّهه بوالدَيْه ومَنْ حوله من الأصحاب.

فالتربية بالموعظة الحسنة والإرشاد باللين له تأثير كبير على الولد. فالولد يتأثر بالكلمة الهادئة، والنصيحة الراشدة والقصة الهادفة، والحوار المشوّق، والأسلوب الحكيم والتوجيه المؤثر، فبهذا الأسلوب كان النبي ﷺ يوجِّه أصحابه. روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سَلَمة قال: كنت غلاماً في حِجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: (**يا غلام سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك**) فما زالت تلك طعمتي بعد[1].

بهذه الكلمات الطيبة، وهذه الموعظة الحسنة، وهذا التوجيه المؤثر البليغ، أرشد النبي ﷺ عمر بن أبي سلمة.

ب - تصحيح الخطأ: إذا صدر عن الولد أي خطأ وجب على المربي أن يسارع إلى تصحيحه لكي لا يتمادى فيه ويعتاد فعله، فالنبي ﷺ كان يسارع إلى تصحيح الخطأ بالموعظة والإرشاد والإشارة والتوبيخ، وذلك على حسب حال الخطأ والمُخطئ. روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشقِّ الآخر، فقالَتْ: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحجّ أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يثبت على الراحلة، أفأحجّ عنه قال: (**نعم**) وذلك في حجة الوداع[2].

---

(1) سبق تخريجه، ص 205.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الحجّ، باب وجوب الحج وفضله، ص 295، حديث رقم 1513.

- ومسلم، شرح النووي، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما أو للموت، ج 9، ص 101، حديث رقم 3238.

وعندما أخطأ أبو ذرّ ﷺ مع رجل مِنْ إخوانه المسلمين؛ وهو بلال حيث عيَّره بسواد أمه، أنكر عليه النبي ﷺ وصحَّح خطأه بأسلوب فيه شيء من التوبيخ. روى الشيخان عن أبي ذرٍ ﷺ قال: إنِّي سابت رجلاً فعيّرته بأمه فقال لي النبي ﷺ: (**يا أبا ذر أعيرته بأمِّه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه ممَّا يأكل، وليلبسه ممَّا يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**)[1].

هذا هو نهج النبي ﷺ، لم يكن يسكت على الخطأ بل كان ينكره ويصححه.

ج - **الهجر**: يتدرج المربي في التأديب منَ الأخف إلى الأشد، فإذا لم ينتفع الولد بالموعظة الحسنة والإرشاد بالرفق ثم بالتوبيخ والتأنيب، انتقل المربي إلى أسلوب آخر وهو الهجر، عملاً بفعل رسول الله ﷺ حيث هجر الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العَمْري وهلال بن أمية الواقفي وذلك كما ورد في البخاري من حديث كعب بن مالك ﷺ وفيه (. . . ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين مَنْ تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيَّروا لنا، حتى تنكَّرَتْ في نفسي الأرض فما هي التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي، هل حرَّك شفتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثمَّ أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ، وإنْ التفتُّ نحوه أعرض عني. . . . حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يُكَفَّر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ص 29، حديث رقم 30.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك ممَّا يأكل وإلباسه ممَّا يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، ج 11، ص 134، حديث رقم 4289.

أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلْها ولا تقربْها، وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك، فقلت لامرأتي: إلحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر... فلما صليت صلاة الفجر صُبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رَحُبَتْ، سمعت صوت صارخ بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج. وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر...)[1]. وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿...وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

ومدة الهجر هذه خاصة بالنبي ﷺ، ولا يجوز أن تزيد على ثلاثة أيام بين المسلمين، لحديث النبي ﷺ: **(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)**[3]، وينبغي أن يكون الهجر داخل المنزل، لا خارجه، لكي يُؤتي ثماره وفوائده.

فالتأديب بالهجر إذاً هو من أوامر الله التي أمرنا بها عند الوقوع بالخطأ، وقد مارسها المربي الأول ﷺ مع أصحابه ﷺ، وكانت نتائجها محققة. فدلَّ ذلك على أنها من أساليب التأديب التي يُلْجَأ إليها في حينها، علَّها تُجدي نفعاً فتقوِّم العِوج، وتمحو الزلل.

د - التهديد بالضرب: من الأطفال مَنْ لا ينفع معه الموعظة ولا الهجر، وإنما يردعهم عن خطئهم رؤية السّوْط وأداة العقوبة، فبمجرد أن يروه، يُقلعون عن الخطأ ويسارعون إلى تصحيحه، وتحسن أخلاقهم وسلوكهم، ويستقيموا على

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب المغاري، باب حديث كعب بن مالك، ص 834-837، حديث رقم 4418.

(2) سورة التوبة، الآية: 118.

(3) سبق تخريجه، ص 219.

الحق والصواب. فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس ﷺ: (أن النبي ﷺ أمر بتعليق السَّوْط في البيت)[1].

وروى الطبراني أن النبي ﷺ قال: **(علِّقوا السَّوْط حيث يراه أهل البيت فإنه لهم أدب)**[2].

فعلى المربين أن يعملوا بهدي النبي ﷺ، ويأخذوا بأمره، فيعلِّقوا السَّوْط في مكان يراه الأولاد وهذا ما يردعهم عن الخطأ ولا يتعمدون الوقوع فيه، فتتحقق الغاية المرجوة دون الوصول إلى عقوبة الضرب التي هي آخر وسيلة يلجأ المربي إليها.

هـ - **الضرب**: إذا لم تجدِ نفعاً وسائلُ التأديب السابقة الذكر مع الطفل، وبقي مُصرّاً على العناد والخطأ، لجأ المربي إلى الضرب، لقول رسول الله ﷺ: **(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرِّقوا بينهم في المضاجع)**[3].

والضرب هو آخر وسيلة فهو يأتي بالمرحلة الأخيرة بعد الوعظ والهجر وتعليق العصا والسوط، فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى العقاب الأشد وهو الضرب، إلا إذا جرَّب الأخف ولم ينفع مع الولد، فآخر الدواء الكيّ. ومع ذلك فإن للضرب ضوابط يجب على المربي التقيّد بها، من أهمَّها:

1 - عدم البدء بالضرب قبل سن العاشرة: بناء لحديث رسول الله ﷺ -السابق الذكر - **(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرِّقوا بينهم في المضاجع)**. فالصلاة هي أهم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتَيْن، وهي أول ما يُحاسَب عليها العبد يوم القيامة ومع ذلك لم يأذن النبي ﷺ بضرب الطفل على التقصير بها قبل سن العاشرة. دلّ ذلك على عدم

(1) أخرجه البخاري، الأدب المفرد، م.س، ص 359، حديث رقم 1229.
(2) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، 1983، ج 10، ص 284.
(3) سبق تخريجه، ص 13.

جواز اللجوء إلى الضرب إلا بعد هذه السن، أما قبلها فَتُتَّبَع المراحل السابقة الذكر.

2 - أن لا يتجاوز عدد الضربات العشر: وذلك لِمَا رواه البخاري عن أبي بُردة الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**لا يُجلد فوق عشر جلدات إلا في حدٍّ من حدود الله**)[1].

وفي رواية أخرى للبخاري (**لا عقوبة فوق عشر ضربات إلاَّ في حدٍّ من حدود الله**)[2] وقد عنون البخاري للحديث «كم التعزير والأدب» قال ابن حجر في شرحه للحديث «والمراد بالأدب في الترجمة التأديب، وعطفه على التعزير لأن التعزير يكون بسبب المعصية والتأديب أعمُّ منه، ومنه تأديب الولد وتأديب المعلم»[3].

دلَّ الحديث على عدم جواز زيادة الضرب عن عشر إلّا في حال ثبوت حدٍّ من حدود الله تعالى، وهذا منتفٍ في حق الطفل لأنه لم يدخل سن البلوغ والتكليف.

ولمَّا كان اللجوء إلى الضرب للتأديب لا للانتقام، فإنّه يجب أن يكون السوط المستعمل للضرب ليس شديداً جداً ولا رقيقاً جداً، بل يجب أن يكون بين اللين والشدة، والغلظة والدقة، فلا يكون رطباً يشق الجلد لثقله، ولا شديد اليبوسة فلا يؤلم لخِفَّته.

وينبغي على الضارب:

- أن لا يرفع ذراعه، ولا يضرب بكل قوة يده، لئلّا يعظم ألمه.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب كم التعزير والأدب، ص 1306، حديث رقم 6848.
- ومسلم، كتاب الحدود، باب قدر أسواط التعزير، ج 11، ص 219، حديث رقم 4435.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، كم التعزير والأدب، ص 1306، حديث رقم 6849.

(3) العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، م. س، ج 12، ص 183.

- وأن يكون الضرب مُفرَّقاً لا مجموعاً في محل واحد.
- وأن يكون بين الضربتين زمن يخفُّ به ألم الأول.

فعلى المؤدِّب والضارب أن يتقيّدا بهذه الضوابط والمواصفات لكي يؤتي الضرب ثمراته التربوية فيتحقق الهدف المقصود منه؛ وهو التأديب والتهذيب فيتقدم الطفل نحو الأحسن لا الأسوأ، ونحو الأعلى لا الأسفل، ونحو الكمال لا النقصان، ونحو القمة الأخلاقية والسلوكية لا الحضيض[1].

3 - أن يُتَجَنَّب الضرب على الوجه وعلى الأماكن المؤذية: لما رواه أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (**إذا ضرب أحدكم فليتقِ الوجه**)[2]. ولقوله ﷺ: (**لا ضرر ولا ضرار**)[3] فأي مكان يؤدي الضرب عليه إلى ضرر، كالرأس والبطن والصدر والوجه... فإنه ممنوع لعموم الحديث (**لا ضرر ولا ضرار**).

فالمقصود من الضرب تحقيق المصلحة المُتوخّاة من إيلامه على حدٍ لا يهلكه أو يؤثِّر على أحد أطرافه.

فما على المربين إلا أن يقتدوا بالنبي ﷺ ويأخذوا بهديه، فيعتنوا بأطفالهم ويحسنوا توجيههم وتأديبهم ليصلوا بهم إلى شاطئ الأمان، ويكونوا مشاعل نور وهداية للأمة جمعاء.

خلاصة الفصل

التربية الإسلامية للأطفال تقوم على هذه الأسس، وتتكوّن من هذه الوسائل، فتربية الوالدين للأسرة مرتبطة بأساليب تربوية ووسائل توجيهية، ذكرها الله في

(1) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، م.س، ص 369 - 370.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب الحدود، باب في ضرب الوجه في الحدّ، ص 491، حديث رقم 4493.

(3) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، ص 335، حديث رقم 2340.

كتابه، وبيّنها رسول الله ﷺ في سنته. فإذا أخذ بها الوالدان، فإنّ الطفل والفرد يهتدي، والأسرة تستقيم، والأمة تصطلح، فتصل المجتمعات إلى قمة الاتّزان والنجاح والفلاح، وذروة السعادة والاستقرار.

وتُحقق هذه الأمة النصر والعزة والتمكين، فتحكم الناس والمجتمعات بالعدل والحق والدين.

فالله، الله، أيها المربي في ولدك، جعله الله أمانة في عنقك، فخُذْ بيده إلى الالتزام بمبادئ هذا الدين القويم، وكُنْ له قدوة بالفعل والقول.

اجعل مظهره يوحي بالإسلام، ولسانه ينطق بالسنة والقرآن، وأخلاقه وسلوكه مُستقًى من النبي ﷺ الذي جاء بالنور والهدى والتُّقى والبيان. فيكون لك زخراً، وتنال من الله ثواباً كبيراً وأجراً.